سلسلة تفريغات شبكة بينونة

شرح وصية

العلامة عبد الرحمن المعلَمي لتلميذه

الشيخ

حامد بن خميس الخنبي

حفظه الله

@Baynoonanet www.baynoona.net

تنبيه:

هذا التفريغ لم يراجعه الشيخ، وفي حال وجود أي خطأ فيرجى مراسلتنا للتعديل.

شرح وصية العلامة عبد الرحمن المُعلمي لتلميذه

لفضيلة الشيخ حامد بن خميس الجنيبي حفظه الله

الدرس الاول:

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا 0111هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،،،

في مُستَهل هذه اللقاءات التي أسال الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها وأن يجعل ثمرة من كان سبباً فيها ثمرة ذلك في أهله وماله وأن يبارك في عمره ولا يفوت بدايةً أن نشكر من كان سبب في هذه اللقاءات بَدْءاً من دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي ومركز رياض الصالحين وكذلك من سعى ونسق من الإخوة جزاهم الله خيراً وجعل ذلك في موازين حسناتهم

بين يدينا وصية عظيمة فيها كثير من الفوائد على صغر حجمها إلا أنها حَوَتْ كثيراً مما يحتاج إليه طُلاب العلم في كل زمن وعادة كتابة الوصايا من أهل العلم سواء كانت على سبيل التصنيف أو كانت على سبيل الرسائل الشخصية أو كانت وصايا سمعها الطلاب من مشايخهم ولا شك أن الوصية لها أثر وخصوصا إذا كانت مخصوصة لأحد بعينه فيترتب عليها من الأثر العظيم الذي يُرجى نفعه وبقائه بإذن

الله سبحانه وتعالى وكاتب هذه الوصية هو أحد أعلام الإسلام وعلماء الإسلام الذين تركوا لنا موروثاً عظيما تنهل منه الأُمَّة وتحتاج إليه وهو العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني المولود رحمه الله تعالى في السنة الثانية عشر بعد الثلاثمائة وألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في آخرها ذكر ذلك رحمه الله تعالى عن نفسه في بعض رسائله وقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى على هذا العالم الجليل بالذكاء والفطنة منذ الصغر فقد حفظ كتاب الله سبحانه وتعالى على والده وعلى شيخ آخر منذ صغره وقبل البلوغ وسافر رحمه الله تعالى بعد ذلك إلى أخيه

فتعلم عنده شيء من النحو مكث عنده عشرين يوم يتعلم النحو ثم رجع واشتغل بتفهم النحو وتعلمه حتى فتح له في ذلك ولازم بعض شيوخه في هذا الباب وتعلم على بعضهم شيئا من الفقه الشافعي فهو على المذهب الشافعي رحمه الله تعالى ثم لما جاوز العشرين سافر إلى منطقة جازان وقد كانت فيها الدولة الإدريسية وكان حاكمها محمد الإدريسي وكان سفر المعَلِّمي رحمه الله تعالى إلى الإدريسي بعد أن استحوذ كثير من أهل البدع على بعض المدن مدن أهل السنة واستحكمت لهم وقامت فيها دولتهم فسافر إلى الإدريسي وكان الإدريسي من العلماء فلزم الإدريسي خمس سنين إلى حين وفاته وكان مصاحباً له في سفره وفي حله وفي ترحاله وكان كاتباً لرسائله وعينه رئيساً على القضاء ومُفتشاً على القضاة ثم لما مات الإدريسي وكان المعَلِّمي رحمه الله يعظم الإدريسي جداً ويحبه ويقدره فلما مات الإدريسي وخلف بعده ابنه لم يَسِر على سيرة أبيه وأبْعَد كثيراً ممن كان من المقربين عند أبيه بسبب خلاف بينه وبين عمه وكان ممن أبعدهم العلامة المعَلِّمي رحمه الله تعالى فأخرجه أظن إلى الحُديدة في اليمن ثم لم يطل مكوثه هناك وسافر إلى اندونيسيا وبقي فيها قرابة العام ثم مِنها إلى الهند واشتغل في دائرة المعارف خمسة وعشرين سنة

وكانت أفضل مدة من حياته ثم بعد ذلك سافر إلى مكة وَعُيِّن في مكة أميناً على مكتبة الحرم وبقي في ذلك إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى العلامة المعَلِّمي رحمه الله ترك موروثاً عظيماً كما ذكرنا ويحتاج إليه طلبة العلم اشتغل بتحقيق كثير من الكتب النافعة والمفيدة وكثير من كتب الحديث وكذلك له مؤلفات نافعة في جانب علم الحديث والتحقيق فيه وكذلك الرد على المبطلين وعلى من تجاوز في هذا الدين حده في علماء الإسلام أو في غير ذلك من الرسائل التي كتبها عليه رحمة الله تعالى هذه الوصية هي من ضمن الموروث الذي وَرَّثه هذا العالم الجليل وبقيت هذه الوصية وقد أُخرجت قريبا في ضمن مجموع آثار العلامة المعَلِّمي الذي طُبع أخيراً وقد كتبها لأحد تلاميذه لما أراد أن يرجع إلى أهله بعد أن مكث عنده مُدة قرأ فيها بعض الكتب كما سيأتي فذهب هذا الطالب بهذه الوصية راجعاً بها لنفسه مستفيداً منها ومُفيداً إن شاء الله.

الوصية التي بين يدينا قسمها المصنف إلى ثمانية مطالب بعضها يتعلق بشيء من العقيدة في شأن الله وكذلك الإيمان على سبيل الإجمال في أركان الإيمان وشهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمد رسول الله وبقية المطالب كما سيأتي إن شاء الله وهي رسالة مختصرة لكن بعض الجمل إذا أردت التحقيق فيها فهي تحتاج إلى بسط لعله لا يناسب المقال ونحن إن شاء الله نستعرض من هذه الوصية ما يفي به الوقت بحول الله تعالى وتيسيره.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيم).

هذه هي الخطبة التي ابتدأ بها رحمه الله تعالى هذه الوصية بدأ بحمد الله عز وجل وشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم ثَنَّى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة والتبريك عليه وهي إحدى الصِّيغ الواردة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وساق قول الله سبحانه وتعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيم)هذه الآية هي من الأدعية القرآنية العظيمة وهي دعاء من المؤمن لكل من سبقه من أهل الإيمان ويدخل في ذلك كل الصالحين فهم داخلون فيمن قال الله سبحانه وتعالى فيهم: "الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ" والمؤمن ينبغي عليه أن يكون داعياً لإخوانه داعياً لهم بالخير وداعياً لهم بما فيه النفع والعَود بالفائدة وهو يناله من ذلك دعاء الملائكة له كما في الحديث الصحيح أن العبد إذا دعا لأخيه في ظهر الغيب أوكل الله ملكاً فيقول ولك بالمثل، فيحصل له من الدعاء من الملائكة ما يحصل للعبد مما دعا به لإخوانه.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وإذا قال المؤمن: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) يقصد كل من سبقه من قرون الأُمَّة بالإيمان وإن كان قد أخطا في تأويلٍ تأوَّله أو خالف السنة أو أذنب ذنباً فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان فيدخل في العموم وإن كان من الاثنتين والسبعين فرقة فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً بل مؤمنين فيهم ضلال وذنب يستحقون فيه الوعيد كما يستحقه العصاة المؤمنين". انتهى كلامه من: "منهاج السنة".

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

أما بعد : فقد صحبني الولد الفاضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المعلمي وفقه الله تعالى عامين كاملين بمكة المكرمة، وحمدت صحبته وأدبه، وحرصه على طلب العلم، وقرأ عليّ كتبًا في العربية "الآجرُّومية"،"المتممة"،"القَطر"، وطرفًامن " ألفية ابن مالك"، مع إعراب عدة أجزاء من القرآن، وأكثر " زبد ابن رسلان " و" الرَّحَبية " مشروحة

۞ قال: "فقدصَحِبني الولد الفاضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المعلمي وفقه الله تعالى": يقول الذي ترجم العلامة المعَلِّمي في بداية مجموع الآثار ذكر نقلاً عن تلميذ المعَلِّمي محمد بن أحمد أنه صحب الشيخ وأن الشيخ كتب له هذه الوصية التي بين أيدينا والذي يظهر من تلك الكتابة أنه لازال حياً والله اعلم.

۞ قال: "عامين كاملين بمكة المكرمة" : وهذا يفيد أن هذا كان في آخر حياة العلامة المعَلِّمي رحمة الله كما سيأتي في التأريخ في خاتمة هذه الوصية.

❁ قال: "وحمدت صحبته وأدبه، وحرصه على طلب العلم": ومن تمام العلم حسن الصحبة للمعلم ومن توفيق الله سبحانه وتعالى لطالب العلم أن يَمُنَّ عليه بحسن صحبة الشيخ أو المعلم وخصوصاً إذا كان من العلماء وهذا من فضل الله وتوفيقه لطالب العلم وهذه الصحبة هي تشريف من الله سبحانه وتعالى لحامل العلم لأجل العلم الذي معه لا لأجل شخصه ولا شك أن حُسن الصحبة للمعلم مبنية على أخلاق المعلم وعلى ما يصدر منه اتجاه المتعلمين وقد قال ربنا سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله صلى الله عليه وسلم: "ولو كنت فضاً غليظ القلب لانفضوا من حولك" والواجب على المعلم أن يتواضع لله سبحانه وتعالى في شأنه كله فهو قد حاز هذا العلم ليس لأجل جاه ولا لأجل منصب بل هو محض فضل من الله سبحانه وتعالى له

ولذلك يقول النووي رحمه الله تعالى في آداب المعلم: "ومنها الحذر من الحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس وإن كانوا دونه بدرجات ...إلى أن قال: وطريق نفي الإعجاب أن يعلم أن العلم فضل من الله ومعه عارية فإن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مُسَمَّى فينبغي أن لا يُعجب بشيء لم يخترعه وليس مالكاً له ولا على يقين من دوامه" إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

وذكر الشيخ بعض الكتب التي قرأها عليه تلميذه محمد بن أحمد المعَلِّمي ومن ذلك "الآجرومية" لابن آجروم الصنهاجي وكذلك "المتممة" للحطاب الرُّعيني و"القَطْر" لابن هشام الأنصاري و"ألفية ابن مالك" لمحمد بن عبد الله ابن مالك الجَيَّاني الأندلسي.

❁ قال: "مع إعراب عدة أجزاء من القرآن، وأكثر زُبَدِ ابن رسلان": وهي منظومة في الفقه الشافعي ابتدئها بشيء من علم الاعتقاد وقد كان أشعري الاعتقاد.

❁ قال: و" الرَّحَبية "مشروحة: أي أنه قد قرأ شرحاً عليها، الرحبية وهي لأبي عبد الله محمد بن علي الرحبي الشافعي رحم الله الجميع.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وسمعني أشرح ما يجب في الاعتقاد والعمل، وأخذ بنصيب من معرفة ذلك، مع صلاحه في نفسه، وإقباله على الخير، وعدم ميله إلى اللهو واللعب، وشدة محبته لي وحرصه على راحتي، وإتعابه نفسه في خدمتي حتى في حال مرضه.

هكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلمفكان منهم من يحمل له الوضوء ومنهم من يحمل له نعليه كما كان يُسَمَّى ابن مسعود صاحب النعلين أو صاحب نعلي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأنس كان خادم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى غير ذلك مما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم بل كانوا يتبادرون ويسارعون إلى خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعامل الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا شك أنه مع الفارق لكنه منها نتعلم آداب التلميذ مع الشيخ من تعامل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك في المقابل تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم يستفاد منه تعامل الشيخ مع تلاميذه وطلابه فمن أراد أن يسلك الطريق السديد في ذلك فعليه أن يتعلم هذه الآداب النبوية وكذلك الآداب الواردة عن أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم أجمعين.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

أسأل الله أن يجزيه خيرًا وبرا وتوفيقًا وصلاحًا، وأن يصلح شؤونه في دينه ودنياه.

۞ هذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو لأصحابه، قال لابن عباس رضي الله عنهما "اللهم فقه في الدين" وقال لِأنس رضي الله عنه "اللهم اطل عمره وبارك له في ماله" وقال في معاوية رضي الله عنه: "اللهم اجعله هادياً مهدياً" إلى غير ذلك من الأدعية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهكذا ينبغي أن يكون المعلم مع طلابه داعياً لهم بكل خير وأن يَخْتَصَّهُم بالدعاء وأن يَخُص آحادهم من الدعاء ما يكون في ذلك سماعهم وفيه وقع ذلك في أنفسهم إن شاء الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

ثم تضافرت الدواعي لرجوعه إلى الوطن لزيارة والديه وغير ذلك، والتمس مني أن أكتب له وصية نافعة، فرأيت من الحقِّ عليَّ أن أجيبه إلى ذلك، ومن الله تعالى أسأل التوفيق لي وله، وأرتّبها على مطالب.

۞ على الشيخ أن يراعي حال طلابه وتلاميذه ولذلك جاء في حديث مالك بن الحُويرِث في الصحيحين أنه قال: "أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شَبَبَةٌ متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رقيقاً فظن أنَّا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه فقال ارجعوا إلى أهليكم أقيموا فيهم وعلموهم ومروهم فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم" الحديث في الصحيحين

❁ فطلب الوصية من المعلم عند خشية الفراق أو عند الفراق أمر محمود وقد جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجِلَتْ منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا" وفي رواية "فاعْهَد إلينا" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة ...الحديث."

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

المطلب الأول

العقيدة في شأن ذات الله – عزَّوجلَّ– وصفاته

بعث الله محمدًا– صلى الله عليه وسلم – إلى الخلق، وكان أول مَن دعاه العرب، وكان العرب في جاهليتهم يعترفون بوجود الله –عزَّوجلَّ– وربوبيته، وأنه ربُّ كلِّ شيء، وكانوا يصفونه بما تقتضيه الفطرة، وبما بقي لديهم من ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من صفات الكمال، ويفترون عليه أشياء.

❁ نعم هذا المطلب الأول قال: العقيدة في شأن ذات الله عزَّوجلَّ وصفاته:

فابتدأ بهذا المطلب وهو يتعلق فيما يجب على العبد في شأن اعتقاده في الله تبارك وتعالى وأوجز في ذلك رحمه الله عز وجل وابتدأ في ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين وكان أول من دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم هم العرب وقد جاء في الحديث الصحيح كما في صحيح مسلم: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب فبعث محمد صلى الله عليه وسلم" ...الحديث أو كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم.

كان العرب أكثر ما فيهم الشرك وكان في ذلك الوقت بقايا من أهل الكتاب وكذلك بقايا ممن كان

عنده شيء من ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولذلك بقي فيهم توحيد الربوبية وكان أول من بدل دين العرب هو عمرو بن لحيد الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يوم القيامة يكون في النار يجر قصبه في نار جهنم والعياذ بالله،فبعث الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم إلى العرب أولا بعث فيهم أولاً وكانت بعثته للناس عامة وابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة المشركين الخُلَّص الذين لم يكن فيهم شيء من بقايا الكتاب وكان هم قومه قريش كما هو معلوم.

❁ وأيضا كما هو معلوم أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الأُلوهية: وسيأتي تفصيله وهو إفراد الله بالعبادة وقد جعل له المصنف مطلبا خاصا.

توحيد الربوبية: وهو الذي يدور عليه كلام المصنف هنا رحمه الله وهو إفراد الله عز وجل بأفعاله وأنه الخالق المالك المدبر.

توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وإثباتها كما وصف الله تعالى بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتاً من غير تمثيل وتنزيهاً من غير تعطيل، والكلام هنا على توحيد الربوبية الذي هو إفراد الله عز وجل بأفعاله وأنه الخالق المالك المدبر وإثبات ذلك له فكان المشركون فيهم شيء من إثبات الربوبية لله تبارك وتعالى

جاء عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله تعالى: "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ" قال: فإيمانهم قولهم الله خالقنا ويرزقنا ويُميتنا، المسألة هذه مسألة عظيمة يا إخوة لأن كثير من المسائل متعلقة في نفي شبهات الإشراك في توحيد الله سبحانه وتعالى راجع إلى هذه القضية وهي عدم التفطن إلى ما ذكره الله تعالى في كتابه وما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء عن سلف هذه الأُمَّة من أن النبي صلى الله عليه واله وسلم بُعث في قوم كان فيهم نوع توحيد ربوبية وإن كان عندهم خلل بلا شك لكن كان عندهم نوع من توحيد الربوبية وشيء من إثبات صفات الله سبحانه وتعالى له.

۞ يقول قتادة رحمه الله في تفسير نفس الآية" وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ" : "في إيمانهم هذا إنك لست تلقى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه وهو الذي خلقه ويرزقه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته"ففي جانب توحيد الربوبية لم يكن عندهم من الشرك ما كان عندهم في جانب توحيد الأُلوهية لله سبحانه وتعالى وفهم هذا المعنى العظيم تترتب عليه كثير من مسائل توحيد الأُلوهية وكثير من الشبهات التي بُنِيَت في هذا الباب هي مترتبة على هذه المسألة التي قد التبست على كثير ممن حاد عن الصراط المستقيم في هذا الباب، من الآيات التي في ذلك قول الله سبحانه وتعالى: "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ"وقال تعالى: "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ".

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

فجاء القرآن والسنَّة بتقريرهم على الحقّ وردّهم عن الباطل، فكان من الباطل : زعمهم أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم وزعمهم: أنه يجوز أن يُعبد مع الله بعض مملوكاته ليكونوا شفعاء لهم إليه، ويقربوهم إليه زُلفى، وشكُّهم في أنّ الله يبعث الناس بعد موتهم ولا يكون هذا أبدًا؛ ولهذا قال تعالى: "قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَيَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ" فقرر القرآن في عدة آيات أن الله تعالى تنزَّه عن أن يكون له ولد، وأنه لايستحق أن يُعبد إلا هو سبحانه، وأن البعث بعد الموت حق .

۞ هذا النص الذي بين أيدينا في ذكر بعض مخالفات المشركين التي استحقوا بها وصف الشرك في باب عبادة الله سبحانه وتعالى برغم وجود نوع توحيد ربوبية عندهم ولكن ذلك لم يكن شافعاً لهم ومُدخلاً لهم في دين الإسلام ولا كان ذلك مقرباً لهم الى الله سبحانه وتعالى.

۞ قال: فكان من الباطل: زعمهم أن الملائكة بنات الله – تعالى الله عن قولهم:

كانوا يقولون أن الملائكة بنات الله فهم إذاً يؤمنون بالملائكة وبوجود الملائكة لكنهم كانوا يقولون عنها بنات الله تعالى الله سبحانه وتعالى عن الصاحبة والولد "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)" فكانوا يزعمون أن الملائكة بنات لله سبحانه وتعالى فوصفوهم بالأنوثة والملائكة لا يوصفون بذكورة ولا بأُنوثة فلا يوصفون بأنوثة لأن الله سبحانه وتعالى قد أنكر على المشركين وصفهم للملائكة بأنهم إناث "وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ"فملائكة ليسوا إناثا

كما وصفهم بذلك المشركون ولا يوصفون بالذكورة أيضا وهو الذي عليه تقرير أهل السنة وذلك أنه لم يرد في كتاب الله تبارك وتعالى وصف الملائكة بأنهم ذكور فلم يجئ وصفهم بأنهم إناث ولم يجئ وصفهم بأنهم ذكور بل نفى الله سبحانه وتعالى عنهم الأنوثة وسكت سبحانه وتعالى عن جانب الذكورة والله سبحانه وتعالى يقول: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"

فهذا هو الواجب في الاعتقاد في جانب الملائكة أنهم لا يقال عنهم ذكور ولا يقال عنهم إناث ولا يقال أنهم أبناء الله أو بنات الله تعال الله عن ذلك علواً كبيراً.

۞ قال: وزعمهم أنه يجوز أن يُعبد مع الله بعض مملوكاته ليكونوا شفعاء لهم إليه، ويقربوهم إليه زُلفى: وهذا من أعظم ما أشرك به المشركون ومن أعظم ما أخرجهم عن دائرة الايمان وتأمل كيف أنهم أرادوا القربى والزلفى من مَنْمِن الله سبحانه وتعالى وهذا يؤكد أنهم كانوا يؤمنون بوجود الله وبربوبية الله سبحانه وتعالى ولكنهم عبدوا غير الله سبحانه وتعالى رجاء أن يقربهم هذا المعبود إلى الله سبحانه وتعالى قال الله عز وجل: " وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى":ففهم هذا المعنى وتمعَّن فيه فإنه أصل لغلط كثير من الشبهات في هذا الجانب.

۞ قال: وشكُّهم في أنّ الله يبعث الناس بعد موتهم ولا يكون هذا أبدًا؛

فكان عندهم شيء من الشك في البعث وفي النشور بل كانوا يستهزئون من ذكر البعث والنشور وينكرون ذلك "قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ" إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة عنهم في إنكار البعث وفي إنكار النشور

وأن الله سبحانه وتعالى يبعث الأرواح بعد موتها ولذلك كان من التقرير في الرد على هذا أن الذي خلقهم في أول مرة قادر على أن يخلقهم مرة أخرى بل الخلق مرة أخرى أيسر من الخلق أول مرة.

۞ قال: ولهذا قال تعالى: "قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَيَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ" فقرر القرآن في عدة آيات أن الله تعالى تنزَّه عن أن يكون له ولد، وأنه لايستحق أن يُعبد إلا هو سبحانه، وأن البعث بعد الموت حق .. إلى آخر كلامه رحمه الله.

هنا مسألة ننبه عليها لأهميتها: قال: ليكونوا شفعاء لهم إليه، ويقربوهم إليه:

مسألة الشفاعة مسألة عظيمة وهي كذلك من المسائل التي كثر فيها الخوض وتوسع فيها من توسع في غير طريقة السنة وبغير ما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم

وخلاصة هذه المسالة:

أولاً: أن تعلم أن الشفاعة ملك لله عز وجل لا يملكها إلا هو قال سبحانه: " قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا" فإذا كان هو مالك الشفاعة سبحانه فلا يجوز أن تُطلب الشفاعة إلا منه سبحانه وتعالى ولذا كان من طلب الشفاعة من غير الله سبحانه وتعالى قد أشرك بالله سبحانه وتعالى والعياذ بالله والشفاعة هنا متعلقة بما لا يقدر عليه البشر ليس الكلام فيمن يشفع لأخيه المسلم في سداد دين أو في تيسير أمر أو تيسير عمل لا ليس هذا المراد بل المراد الشفاعة المتعلقة بالأمور التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى أو بالأمور المتعلقة بالغيب.

المسألة الثانية المتعلقة بالشفاعة: إذا كانت هذه الشفاعة لا يجوز أن تُطلب إلا من مالكها فتترتب على ذلك مسائل ومنها أنه لا يجوز لأحد أن يشفع إلا إذا أذن له مالك الشفاعة وهو الله سبحانه وتعالى.

المسألة التي تليها: لا يجوز لاحد أن يشفع لأحد إلا إذا رضي الله سبحانه وتعالى عن المشفوع له، الله مالك الشفاعة انتبه إلى هذه وارجع جميع ما يُذكر إلى أن الله مالك الشفاعة سبحانه فإذا كان هو مالكها فلا يجوز أن تُطلب من غيره هذا أولا، وإذا كان هو مالكها فلا يجوز لأحد أن يشفع إلا من بعد إذنه سبحانه وتعالى قال سبحانه: "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" فلا يجوز لأحد أن يشفع إلا بإذن من مالك الشفاعة سبحانه.

المسألة التي تليها: أنه لا يجوز لأحد أن يشفع إلا لمن رضيه الله سبحانه وتعالى، أن يرضى الله سبحانه وتعالى عن المشفوع له قال سبحانه: "وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى" وكذلك إذا كان الله سبحانه وتعالى مالك الشفاعة فله أن يشترط فيها سبحانه ما شاء ومما اشترط سبحانه الإذن وكذلك الرضى عن المشفوع له وكذلك الرضى عن الشافع قال سبحانه: "وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى" فلابد من رضى الله سبحانه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

فالاعتقاد هو ما اقتضته الفطرة القاطعة، وصرَّح بها لقرآن والسنَّة الصحيحة الصريحة ولا ريب أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكمل الخلق في الإيمان وصحّة الاعتقاد، فمن أراد صحة الاعتقاد فليجعل نفسه كواحد منهم، لايعتدّ إلا بما كان حاصلاً لهم من العقل الفطري، والفهم لكلام الله عزَّوجلَّ وكلام رسوله، بِحَسَب اللغة العربية، مع صدق الإجلال لله -عزَّوجلَّ-، وأن لا يقفو ماليس له به علم، والتحرز من الهوى واتباعه.

۞ قال: فالاعتقاد هو ما اقتضته الفطرة القاطعة، وصرَّح بها لقرآن والسنَّة الصحيحة الصريحة: أود التنبيه على مسألة يا إخوة وهي مسألة مهمة: كثير من المسائل التي هي مسائل متعلقة بالاعتقاد تحتاج إلى فهم المنزع أو المناط الذي يرجع إليه رد الشبه المتعلقة بهذا الباب فقد يقول القائل مثلاً كما ذكرنا في الشفاعة لا يجوز للإنسان أن يطلب الشفاعة من إنسان لأن الله سبحانه وتعالى قال كذا وكذا الجواب سديد لكن يَعْتَوِزُ ذلك أيضا ذكر ما يتعلق بأصل المسألة من حيث أين هو منشأ المسألة، كذلك لو قال لا يجوز للإنسان أن يشفع لأحد إلا بعد إذن الله سبحانه وتعالى وذكر لك الآية، النص الدليل ، الجواب سديد لكن لماذا لا يجوز له أن يشفع إلا من بعد الإذن ما هو السبب؟ لأنه مالك الشفاعة الكامل التام نعم تذكر الآية والدليل لكن لماذا لا يجوز له أن يشفع لان الله سبحانه وتعالى هو مالك الشفاعة لذلك تجد أحيانا تذكر بعض الأدلة قد ينازعك بعض أهل الشبه بشبه أخرى وتترتب على الشبهة أخرى وهكذا المسألة لا تنتهي لكن إذا أرجعت المسألة إلى أصلها والمناط على الكلام فيها انتهت عندك كثير من الشبه التي سوف يوردها عليك من أراد أن يلبس في كثير من قضايا الاعتقاد والله اعلم.

❁ قال: ولا ريب أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكمل الخلق في الإيمان وصحّة الاعتقاد: النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول كما في الصحيح: "خير الناس قرني" الخيرية هذه هي خيرية في الاعتقاد وخيرية في العمل وخيرية في الأقوال فهي خيرية للصحابة رضي الله عنهم تامة في جميع أبواب الدين وعلى هذا ينبني ما يذكر بعد ذلك

إذا كانوا خير الناس في الاعتقاد وخير الناس في العمل وخير الناس في القول فكان من تشبه بهم في قولهم وفي عملهم وفي اعتقادهم سائرا على طريقة خير الناس ومشابهاً لخير الناس لأنهم خير الناس في الاعتقاد وخير الناس في العمل وخير الناس في القول فمشابهة خير الناس يجعلك من أهل هذه الخيرية وإن كنت لا تصل إلى مرتبة الصحابة رضي الله عنهم ومنزلتهم لكن تكون سائرا على طريقتهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم أثنى على الخيرية التي فيهم وجعلها خير الطرق التي يسار عليها.

وأُنبه على مسألة مهمة: في جانب أخذ الدين في الاعتقاد وفي الفقه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم شهدوا التنزيل وعاينوه وعاينوا أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وشاركوه صلى الله عليه وسلم في مأكله وملبسه ومشربه وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخصهم بما لا يخص غيرهم وكان يتكلم أمامهم صلوات الله وسلامه عليه فيرون الكلام مع غضبه أو ابتسامته وجميع أحواله صلوات الله وسلامه عليه فهم كانوا أعلم الناس بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا شك أنهم سيكونون أعلم الناس بمراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو معلمهم فهو خير معلم لخير تلاميذ رضي الله عنهم وأرضاهم

الأوزاعي رحمه الله تعالى يقول: "وما رأي مرءٍ في أمرٍ بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا اتباعه وما لم يكن فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال فيه أصحابه من بعده فالأمر كما قالوا فإن الله عز وجل يقول: "وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ" وقلتم أنتم [يعني يا أهل البدع ويا أهل الأهواء] لا بل نعرضها على رأينا في الكتاب فما وافقه منها قبلناه وما خالفه منها رددناه، قال وتلك غاية كل مُحدِث في الإسلام رد ما خالف رأيه من السنة".

فجعل الأوزاعي رحمه الله تعالى وهو إمام من أئمة السلف جعل ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق السنة والهداية إلى سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعل مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام في جملة ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم فإن جملتهم لا تخرج عن طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولذلك لما قال رجل لعامر بن شراحيل الشعبي قال له:" اتفق شريح وابن مسعود" شريح: القاضي النخعي، قال: اتفق شريح وابن مسعود فقال عامر بن شراحيل: "بل وافق شريح ابن مسعود وإنما يتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لهم تبعاً"

فالناس تبعا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه يقول: "فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا" أي إذا آمَنَ المشركين بمثل ما آمَن به أصحاب رسول الله فَقَدِ اهْتَدَوْا

ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله: "فالآية جعلت ايمان الصحابة رضي الله عنهم ميزانا لإيمان الناس" فمن أراد أن يزن ايمانه وينظر في ايمانه وفي صدق اتباعه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلينظر في نفسه إن كان على ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء كان ذلك في الاعتقاد أو في القول أو في العمل أو لم يكن على ذلك الطريق والله اعلم.

ذكر في نهاية الكلام قال:

فلا يكن همّ الإنسان إلا أن يكون مؤمنًا ملتزمًا للصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، ومنهم رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ ولا يبالي إذا وافق أنْ يخالف أحدًا من الناس همُّه أن يوافق اللهَ ورسولَه سواءً أَوافقَ قولَ مَن دونهما أو خالفه.

۞ فالعبرة بموافقة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

قال المؤلف رحمه الله:

المطلب الثاني

بقية أركان الإيمان وهي الإيمان بملائكة الله، وأنهم عباد غيبيّون مطيعون لربهم عزَّ وجلَّ لا يسبقونه بالقول ولا يفعلون إلا ما يأمرهم، ولايشفعون عنده إلا لمن ارتضى بعد إذنه سبحانه لهم , ولا يرغبوا في أن يشفعوا إلا أن يعلموا إذن الله تعالى ورضاه في أن يشفعوا، ولا يفعلون إلا ما يأمرهم ربهم عزَّوجلَّ.

هذا الكلام الآن على بقية أركان الايمان الستة فابتدأ بالإيمان بالله في المطلب الأول ثم انتقل إلى الايمان بالملائكة.

❁ قال: "وأنهم عباد غيبيّون": هم عباد لله سبحانه وتعالى كما قال الله عز وجل:

" لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ" فهم من عباد الله سبحانه وتعالى ومن جملة عبيد الله عز وجل "غيبيون" أي أنهم غائبون عنا ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عليه جبريل بالوحي ولا يشعر بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأتيه جبريل ويخبر أصحابه رضي الله عنهم أتاني جبريل قال كذا وكذا فالملائكة عباد لله سبحانه وتعالى غيبيون هم من عالم الغيب الذي وجب علينا الايمان به وبما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه سواء كان ذلك من أعمالهم وهو كما تعلمون أن منهم الموكل بالوحي كجبريل عليه الصلاة والسلام ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت ولا يصح أن يقال عزرائيل فيل بذلك نص صريح وكذلك منهم الذي ينفخ في الصور في الصعقة وفي البعث وقيام الناس للحساب وكذلك جاء فيه أنه إسرافيل ولا يصح بذلك أيضا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك من هو موكل بالقطر يعني المطر ومنهم من هو موكل بالبرق والرعد إلى غير ذلك من الأعمال الكثيرة التي أوكلها الله سبحانه وتعالى للملائكة عليهم الصلاة والسلام.

❁ قال: لا يسبقونه بالقول ولا يفعلون إلا ما يأمرهم، ولايشفعون عنده إلا لمن ارتضى بعد إذنه سبحانه لهم: كما مر معنا في الكلام عن الشفاعة.

❁ قال: "ولايرغبوا" هكذا جاء في هذه الوصية المكتوبة ولعل الأصح "ولا يرغبون"لأنها لا النافية وليست الناهية.

❁ قال: " في أن يشفعوا إلا أن يعلموا إذن الله تعالى ورضاه في أن يشفعوا " كما مر معنا أيضا في الكلام على الشفاعة، " ولا يفعلون إلا ما يأمرهم ربهم عزَّوجلَّ: وهم مخلوقون من نور كما ثبت في ذلك الحديث في صحيح مسلم : "خُلِقَتْ الملائكة من نور".

قال المؤلف رحمه الله:

والإيمان بكتب الله عزَّوجلَّ التي أنزلها على أنبيائه، والمهيمن عليها القرآن الكريم، وأنه كلام الله– عزَّوجلَّ – أنزله على محمدصلى الله عليه وسلم.

❁ الايمان بالكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على أنبيائه هو إيمان واجب وأهل الإسلام يؤمنون بكل ما أنزل الله سبحانه وتعالى من الكتب ولا ينكرون من ذلك شيئا

وهذا يسمى: "الايمان الإجمالي"

إيمان بالكتب لأن الله أنزل كتب على بعض أنبيائه فيؤمنون بذلك هذا إيمان إجمالي ومن جملة الايمان الإجمالي أن القرآن هو آخر الكتب وأنه مهيمن على ما قبله فكل ما ورد في القرآن خلافه من الكتب السابقة يكون المرجع فيه للقرآن.

❁ وهنالك مسألة تنبني عليها مباحث متعلقة مبحوثة في كتب أصول الفقه ما يتعلق بشرع من قبلنا هل هو شرع لنا أو لا المسألة فيها بحث يطول وعلى كل حال جملة الايمان في هذا الباب أن القرآن مهيمن على كل ما قبله

وأننا نؤمن بكل ما سبق من الكتب وكل ما ورد في القرآن ذكره فإننا نؤمن به كما ورد ذكر التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم والزبور فالكتب التي ورد ذكرها في القرآن الواجب على العبد أن يؤمن بها والله اعلم.

قال المؤلف رحمه الله:

والإيمان برسل الله عزَّوجلَّ، وهم أناس من البشر اختارهم الله عزَّوجلَّ، وأنزل عليهم ملائكته ليبلغوهم كلام ربهم وأمره، حتى يبلغوا عباده، والرسل معصومون في كلِّ ما يبلّغونه عن الله عزَّ وجلَّ، صادقون في ذلك كله، مع طهارتهم في أنفسهم، وصدقهم، ومحبتهم له عزَّوجلَّ، وطاعتهم له، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم بلَّغ رسالة ربه، ونصح لخلقه، ولم يمت حتى بيَّن للناس دينهم، ولا يؤمن أحدُ حتى يحبه صلى الله عليه وسلم أشدّ من محبته للأب والابن والنفس وغير ذلك، وقد خصَّه الله عزَّ وجلَّ بالمقام المحمود، والشفاعة العظمى لأهل المحشر؛ ليخلصوا من ضيق المحشر، ويشرع في فصل القضاء، وأسعد الناس بشفاعته – صلى الله عليه وسلم –مَن قال : لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، يصدِّق قلبَه لسانُه، وعملُه لسانَه، وعلامة محبتك له– صلى الله عليه وسلم : – شدّة حرصك على طاعته فيما بلَّغه عن ربه– عزَّ وجلَّ.

ذكر بعد ذلك رحمه الله تعالى الايمان برسل الله عز وجل، والرسل جملة الايمان برسل الله سبحانه وتعالى أنهم أناس من البشر اختارهم الله عز وجل واصطفاهم سبحانه وتعالى بالرسالة وإذا ذكر الايمان بالرسل فيدخل فيه الايمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام

والفرق بين الرسول والنبي:

الرسول: من بُعِث في قوم مخالفين.

والنبي: من بُعِث في قوم موافقين.

وهذا هو التحقيق في تعريف الرسول والنبي وهو الذي قرره ابن تيمية وابن القيم عليهما رحمة الله تعالى

ومن أهل العلم من يقول : الرسول من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه وهذا التعريف فيه نظر فمن أوحي إليه بشرع وجب عليه أن يبلغه للناس ولا يترك الناس دون أن يأمرهم بتوحيد الله سبحانه وتعالى وينهاهم عن المنكر فالرسول هو من بعث في قوم مخالفين يعني عندهم شرك كما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في الناس عامة لكن بداية دعوته في المشركين وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام لما بدل اليهود ما بدَّلوا وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام لكن الأنبياء الذين بين موسى وعيسى كلهم أنبياء كلهم بعثوا في قوم موافقين أي كان عندهم ايمان لم يكن عندهم الشرك وإن كان قد دخل عليهم بعد ذلك الشرك كذلك آدم عليه الصلاة والسلام نبي لأنه بعث في قوم فيهم ايمان وذريته فيهم ايمان وكذلك نوح عليه الصلاة والسلام رسول فقد بعثه الله سبحانه وتعالى بعد أن كان الناس على التوحيد عشرة قرون كما جاء عن ابن عباس ثم بعد ذلك دخل فيهم الشرك لما نصبوا ما نصبوا من التماثيل وعبدوا قبور الصالحين فبعث الله سبحانه وتعالى نوحاً إليهم رسولاً وهكذا وهذا هو الأدق والأصح بتعريف الرسول والنبي والله اعلم.

❁ قال" وأنزل عليهم ملائكته ليبلغوهم كلام ربهم " أنزل عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام

❁ "حتى يبلغوا عباده" : كما جاء في الآية قوله عز وجل: " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)"

❁ قال: والرسل معصومون في كلِّ ما يبلّغونه عن الله عزَّ وجلَّ، صادقون في ذلك كله: وتأمل كيف أنه جعل عصمة الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغونه عن الله سبحانه وتعالى وأهل السنة على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون في تبليغ الرسالة وقد قال الله سبحانه وتعالى: "يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" وهم معصومون كذلك عن الكبائر وكذلك هم معصومون عن كل ما يقدح في صحة رسالتهم والذي عليه أهل السنة دون أهل الكلام أن الرسل والأنبياء قد يقع منهم الذنب لكن ليس من الكبائر قال تعالى: " وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى" فقد يقع من الرسل شيء من الذنب لكنه لا يكون من الكبائر وكذلك هذا الذنب لا يكون مما يقدح في صحة الرسالة ولا يكون مما يقدح في بلاغهم عن ربهم عز وجل.

❁ قال:" مع طهارتهم في أنفسهم، وصدقهم، ومحبتهم له عزَّوجلَّ، وطاعتهم له ": خاتم الرسل صلوات ربي وسلامه عليه محمد عليه الصلاة والسلام خاتمهم وسيدهم وهو كما قال عن نفسه صلوات ربي وسلامه عليه "أنا سيد الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر" صلوات الله وسلامه عليه.

۞ قال: "وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم بلَّغ رسالة ربه، ونصح لخلقه، ولم يمت حتى بيَّن للناس دينهم، ولا يؤمن أحدُ حتى يحبه صلى الله عليه وسلم أشدّ من محبته للأب والابن والنفس وغير ذلك، وقد خصَّه الله عزَّ وجلَّ بالمقام المحمود، والشفاعة العظمى لأهل المحشر؛ ليخلصوا من ضيق المحشر، ويشرع في فصل القضاء": وهذا ما يجب أن يعتقده كل مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ كل ما يُحتاج إليه من أمر الدين وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ أصحابه وعلمهم كل شيء حتى الخرائة "كيف يقضون الحاجة" فلئن يكون قد علمهم ما يحتاجون إليه من إقامة دين الله سبحانه وتعالى من باب الأولى فقد علمهم صلوات ربي وسلامه عليه كل شيء ولذلك يقول أبو ذر رضي الله عنه: "والله ما ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من طائر يُقلب جناحيه في السماء إلا وأخبرنا علما منه" فلا يوجد شيء مما يحتاج إليه العبد مما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى إلا وقد بينه الرسول علمه من علمه وجهله من جهله وقد خصة الله عز وجل بالمقام المحمود والشفاعة العظمى هذا يكون يوم القيامة يوم المحشر لكي تقوم الساعة يأتي محمد صلى الله عليه واله وسلم فيخر ساجداً بين يدي عرش ربه سبحانه وتعالى بين يدي الله عز وجل ويثني على ربه بما هو أهل ويفتح عليه الله سبحانه وتعالى من المحامد ما لم يكن يعلمه في الدنيا فيقال له: "يا محمد ارفع رأسك وسل تُعطى وشفع تُشفَّع وكذلك المقام المحمود يوم القيامة وقد قال عنها صلى الله عليه وسلم "هي منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله وارجو أن أكون أنا" ولا شك أنه هو صلوات الله وسلامه عليه.

❁ قال: " وأسعد الناس بشفاعته – صلى الله عليه وسلم –مَن قال : لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه: كما ثبت في ذلك الحديث الصحيح: "قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه" وسيأتي معنا معنى لا إله إلا الله والكلام فيها.

❁ قال: "يصدِّق قلبَه لسانُه، وعملُه لسانَه": فالقلب يصدق اللسان والعمل كذلك يصدق اللسان وإهل السنة يؤمنون ويعتقدون بوجود تلازم بين الظاهر والباطن فما من عبادة يسرها القلب إلا وتظهر على فلتات اللسان أو على الجوارح فهناك تلازم بين ظاهر العبد وباطنه فإذا صلح الباطن صلح الظاهر وهكذا كما ثبت عن النبي صلى الله عليه واله وسلم في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام.

❁ قال: " وعلامة محبتك له– صلى الله عليه وسلم : – شدّة حرصك على طاعته فيما بلَّغه عن ربه– عزَّ وجلَّ ": وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ"

يقول الحسن البصري رحمه الله تعالى :

هذه الآية لم تجعل لمبطل مقالاً ولذلك كانت تُسَمَّى عند السلف بآية الامتحان من أراد أن يمتحن محبته لله عز وجل ومحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر كيف اتباعه لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه فهو ميزان لمحبة الله عز وجل ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم.

أسئلة

س: هل الرسل معصومون فيما يبلغونه فقط أو حتى في أمور حياتهم ومعاملتهم مع الخلق؟

ج: هذا ذكرناه في الدرس وأن عصمة الرسل هي فيما يبلغونه عن الله وفيما يقدح في رسالتهم وأنهم لا يقع منهم ما يقدح في رسالتهم وكذلك من الكبائر ولذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بقوم وهم يلقحون النخل فقال لهم لو تركتموه فتركوه فلم يثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم أعلم بأمور دنياكم.

فأمور الدنيا قال أنتم أعلم بها الأمور الخاصة بكم فعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم والرسل عموماً لا تدخل في هذا الجانب.

س: هل اختلف الصحابة أو السلف في العقيدة كمسألة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه أو لم يراه وغيرها من المسائل؟

ج: لم يختلف الصحابة رضي الله عنهم في أي مسألة من الاعتقاد والكلام لما نقول أنهم لم يختلفوا أي في أصل المسألة فالصحابة لم يختلفوا في رؤية الله عز وجل وإنما خلافهم "هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه في الدنيا أو لا" فهي فرع عن مسألة وهي مسألة أصلية وإن كان قد حصل منهم الاتفاق على ذلك بعد ذلك كما جاء عن ابن عباس فالذي أنكر من الصحابة رضي الله عنهم جاء عنهم الإنكار وجاء عنهم الإثبات منهم من أنكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من أثبت رؤيته في المنام لله عز وجل كما ثبت في ذلك الحديث الصحيح الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح فالخلاف بين الصحابة لم يثبت وكذلك ما

جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه أنكر أن المعوذتين من القرآن وهذا لا يثبت عن ابن مسعود وهو من رواية أبي إسحاق السبيعي وهو مُدلس لا يثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه وغير ذلك من المسائل الواردة إذا تأملت فيها على التحقيق فهي ليست من المسائل التي اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم في الاعتقاد وإما أن تكون مسائل فرع عن مسألة أصلية أجمعوا عليها وإما أن تكون هذه المسألة عند التحقيق غير ثابتة أصلا إسنادها إلى صحابة رضي الله عنهم والله اعلى واعلم.

الدرس الثاني:

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،،

في بداية هذا اللقاء أود تذكير اخواني والأخوات بأهمية الاعتناء بطلب العلم وبذل الوسع في ذلك وسؤال الله عز وجل التوفيق والتسديد والمعونة ولا يغفل الإنسان ولا ينسى أن طلب العلم في ذاته عبادة لله سبحانه والعبد في عبادته لله لا ينفك أن يحتاج إلى توفيق الله عز وجل وهذا في جميع العبادات وطالب الحق دائما ما يفتقر إلى ثلاثة أمور:

- يفتقر إلى الإخلاص لله عز وجل
- ويفتقر إلى التوفيق من الله سبحانه وتعالى
- والثالث يفتقر إلى بذل الوسع لإصابة الحق

وهذه الثلاث هي الطريق الموصلة إلى إصابة الحق بحول الله سبحانه وكل له من إصابة الحق نصيب بقدر ما له من هذه الثلاث ومتى ما افتقد واحدة منها فإنه يخشى عليه ألا يصيب الحق الذي أراد

وتأمل في حديث ابن مسعود رضي الله عنه حين قال للذين كانوا يسبحون بالحصى وكم من مريد للخير لن يدركه وذلك لأنهم لم يحالفهم ولم يحصل لهم التوفيق من الله سبحانه وتعالىتحتاج إلى صبر وتحتاج إلى مشقة في طلب العلم وتحتاج إلى أن تثبت

نفسك وأن تثبت إخوانك على طريق الطلب حتى تبلغ بحول الله عز وجل وما يمكن أن تبلغ المراد والمقصود مع وجود التقصير، والهمة لطالب العلم لابد أن ترتفع وأن تسمو وكم من الناس همته مرضات الله سبحانه وتعالى

وكما يقول ابن القيم: من الناس من همته فوق العرش ومن الناس من همته في الحُس.

فاطلب ربك سبحانه وتعالى المعونة والتسديد وتذكر أنك دائما في عبادتك وفي صلاتك تقول:

"إياك نعبد وإياك نستعين"فالاستعانة عبادة في نفسها لكنها أُفردت في الذكر لافتقار سائر العبادات إليها والعبد لا يمكن أن يعبد الله سبحانه وتعالى على الحق وعلى البصيرة دون أن يكون له من الله عز وجل معونه ولذلك كانت "لا حول ولا قوة إلا بالله" كنز من كنوز الجنة

فدائما ما تعترف لله عز وجل وترجع الفضل إليه وتقر بأنه لا حول لك وأنه لا قوة لك إلا بالله العلي العظيم وأن ما حصل لك من التوفيق والتسديد هو فضل من الله سبحانه وتعالى الذي قال: "واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون"

فإيمانك وتوفيقك لهذا الايمان وتوفيقك لطلب هذا العلم والجلوس في حلق العلم ومجالس العلم هو بتسديد من الله وتوفيق من الله الذي وفقك لمجالس العلم وحرم غيرك من الناس الذين يلهون في هذه الدنيا

هي كلمات تذكير لي ولكم نستعين بها بحول الله سبحانه وتعالى في ما يأتي من وقت نتذاكر فيه بحول الله سبحانه وتعالى ما ييسره لنا في هذه الدورة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

والإيمان بقَدَر الله –عزَّ وجلَّ –، فقد قدَّر سبحانه كل ما هو كائن، ثم بيَّن لعباده ما يقرِّبهم إليه، وما يبعدهم عنه؛ لما أرشدهم بعقولهم إلى ما ينفعهم في دنياهم، وما يفرحهم فيها، ثم جعل لهم من التمكين والاستطاعة ما جعل، فالإنسان متمكِّن مستطيع أن يؤمن وأن يكفر، وأن يطيع وأن يعصي، وأن يسعى فيما ينفعه، أو فيما يضره، أو يدع السعي فمن اختار الخير فهو السعيد الموفَّق، ومَن اختار الشرّ فهو الشقي الموبَق، وقد قدَّر الله هذا وهذا، وله الحجّة البالغة على هذا وهذا.

۞ تكلم المصنف رحمه الله تعالى عن الايمان بقدر الله عز وجل وآخر ما ذكره هو ما يتعلق ببقية أركان الايمان والإيمان بالقضاء والقدر هو من أركان الايمان ومن لب عقيدة أهل السنة وقد اختلف أهل العلم في القضاء والقدر هل هما مترادفان بمعنى واحد أم أن القضاء والقدر يختلفان في المعنى والذي يظهر اختلافهما في المعنى

۞ أقول والذي يظهر اختلافهما في المعنى وأن هنالك فرقاً فالقدر هو تقدير الله الشيء في الأزل والقضاء قضائه به عند وقوعه، مثلاً: كتب الله سبحانه وتعالى في الأزل أن يموت فلان في يوم كذا في مكان كذا في ساعة كذا فإذا وقع هذه المقدر وهو الموت سمي ذلك قضاءً، قبل الوقوع يسمى قدراً فإذا وقع يُسمى قضاءً، والقضاء والقدرإذا أفردا كان كلن منهما دالاً على الآخر يعني إذا ذكرت القدر لوحده دل على القضاء وإذا ذكرت القضاء لوحده دل على القدر وإذا ذكرتهما مجتمعين دل كل واحد منهما على معنى مختلف عن الآخر، النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الخوض في القدر وحذَّر من ذلك صلوات ربي وسلامه عليه

❁ والمقصود من قوله صلى الله عليه واله وسلم "وإذا ذُكر القدر فأمسكوا" المراد من ذلك والمقصود من ذلك عدم الخوض فيما يفضي إلى الافتراق والاختلاف أو إلى التنازع أو إلى الشك في دين الله سبحانه وتعالى وفي قضائه وقدره

❁ وقد ثبت عند ابن ماجه رحمه الله تعالى بإسناد حسن من طريق عَمْرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رضي الله عنه: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفقأ في وجهه حَبُ الرمَّان" يعني من شدة احمرار وجه النبي صلى الله عليه وسلم من الغضب "فقال بهذا أُمِرتم أو لهذا خُلِقتم تضربون القرآن بعضه ببعض بهذا هلكت الأمم قبلكم"

❁ يقول المعَلِّمي رحمه الله تعالى معلقاً على هذا الحديث في كتابه "رفع الاشتباه" ويسمى أيضا "كتاب العبادة" قال رحمه الله عن أهل السنة: فهم يقبلون كل ما ورد عن الله ورسوله ويأخذون بالواضح معناه من ذلك ويتفهمون ما عداه فإذا فهموا نظروا فإن كان في إظهار ذلك مما تدعو إليه ضرورة أو لا تترتب عليه مفسدة أظهروه" إذا كان هنالك ما لا يترتب عليه مفسدة أو كان هنالك ضرورة لإظهاره فانهم يظهرون ذلك قال: "وإن لم يروا لذلك ضرورة وخافوا من اظهاره اختلافا وافتراقا في الدين وسعهم السكوت"

❁ قال: "وقد كان كلام الراسخين في العلم من السلف مجملا تبعا لإجمال الكتاب والسنة": من نظر في نصوص الكتاب والسنة المتعلقة بالقدر يجد أن غالب تلك النصوص في باب القدر نصوص مجملة ليس فيها خوض في التفصيل ولا يمنع ذلك من تَطَلُب معاني تفاصيل اعتقاد القضاء والقدر لكن الخوض في ذلك والتنازع في ذلك أو الخوض فيما يفضي إلى التنازع والافتراق أو الخوض فيما يفضي إلى الشك

فهذا ممنوع منه ولا يجوز وليس للعبد أن يخوض في ذلك بل الواجب عليه الإمساك إذا كان الأمر كذلك والله اعلم.

هنا مسائل أخرى: كل شيء في هذا الوجود هو بقدر من الله سبحانه وتعالى الذي قال: " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"ومن ذلك أعمال وأفعال المخلوقات، كلامك مخلوق، وحركتك مخلوقة، قيامك مخلوق، فعلك مخلوق، لذلك صنف البخاري رحمه الله تعالى لما حصل النزاع في هذه القضية وفيما يتعلق بخلق القرآن صنف كتابه العظيم "خلق أفعال العباد" فأفعالنا وأقوالنا مخلوقة كذلك حركات الكواكب ودوران الكواكب وما يتعلق بذلك هو من خلق الله سبحانه وتعالى فلا يشكل على الإنسان أن الجسد في ذاته مخلوق وأن الروح مخلوقة حتى الأفعال كذلك هي مخلوقة لله سبحانه وتعالى.

القدر على أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: العلم: والمراد أن الله عز وجل عَلِمَ ما هو كائن إلى يوم القيامة وأنه أحاط بكل شيء علماً وأنه عَلِمَ ما كان وما لم يكن وعَلِمَ ما لم يكن لو كان كيف يكون سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: " لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا" هذه المرتبة الأولى من مراتب القدر.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة: والمراد ان الله سبحانه وتعالى قد كتب عنده في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى قيام الساعة كتب سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى قيام الساعة أمر القلم فكتب

قال سبحانه وتعالى: "وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ " وفي الحديث الصحيح "أولَ ما خلق الله القلم" على أحد اللفظين في نصب كلمة "أولَ" "قال له: اكتب، قال: وما اكتب؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة" فالله سبحانه وتعالى عَلِمَ ما العباد كانوا عاملين ثم كتب سبحانه وتعالى كل ما سوف يكون من تلك الأعمال سبحانه.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة: والمراد بذلك أن ما شاء الله كان وما لم يشئه لم يكن وأن الذي لم يشئه لم يكن ليس عن عجز إنما عن غير مشيئة منه، الذي لم يشأ سبحانه وتعالى أن يكون لم يكن عن عجز منه سبحانه وإنما عن غير مشيئة منه سبحانه وتعالى أن يكون، قال سبحانه: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ".

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق: المراد بذلك الايمان بأن الله هو خالق كل شيء وأن كل ما سوى الله فهو مخلوق ومن ذلك أفعال العباد فهي مخلوقة قال سبحانه: " قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ" وقال سبحانه: "وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ"

مسائل القضاء والقدر كثيرة نكتفي بهذا بحول الله سبحانه وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

المطلب الثالث

شهادة أن لا إله إلا الله ومعناها: أنه لا حقيق بأن يُعبد إلا الله عزَّوجلَّ، والعبادة هي: الخضوع والتذلل طلبًا لنفع غيبي، تسمي العرب الطلب إذا كان الطالب أعلى من المطلوب منه: أمرًا، فإن كان مثله سمّته التماسًا، فإن كان أعلى منه سمته: سؤالاً، فإن كان طلب النفع غيبي سمته: دعاءً، فالملك إذا طلب من خادمه شيئًا قيل: أمره بكذا وكذا، والتلميذ إذا طلب من زميلله شيئًا قيل: التمس منه كذا، والرَّعوي إذا طلب من الملك شيئًا قيل: سأله كذا، تقول: سألتُ الملك أن ينصفني من خصمي، ولا يقال: دعوت الملك أن ينصفني من خصمي، نعم يقال: دعوت فلانًا، بمعنى: ناديته، وهذا معنى آخر، إنما الخاص بالنفع الغيبي هو الدعاء بمعنى السؤال الذي هو طلبا لنفع، فالدعاء بمعنى سؤال النفع الغيبي هو روح العبادة، وبقية العبادات متضمنة له؛ لأنها كلها يُطْلَب بها النفع الغيبي، فمن دعا الله – عزَّوجلَّ–، أي: سأل منه أن يرحمه، أو يشفيه، أو يغنيه، أو غير ذلك، فقد عبده، ومَن دعا غير الله – عزَّوجلَّ–، أي: سأل منه نفعًا غيبيا فقد عبد غير الله – عزَّوجلَّ، فأما الخضوع والتذلل طلبًا للنفع الغيبي، فإن الله إذا أمر بالتذلّل لغيره، فامتثلنا ذلك كنّا عابدين لله – عزَّوجلَّ–، لا لمن وقع في الخضوع في الصورة له، فمن تذلل لوالديه إلى الحدّ الذي أذن الله به، وقصد بذلك امتثال أمر الله – عزَّوجلَّ– فهو عابد لله، لا للوالدين .

❁ هذا المطلب الثالث تكلم فيه المصنف رحمه الله تعالى عن شهادة أن لا إله إلا الله، الشهادة دائما ما تفتقر إلى ثلاثة أمور إذا اختل واحد منها لم تكن شهادة صحيحة

- أما الأول: فهو إقرار القلب بتلك الشهادة
- والثاني: نطق اللسان بالشهادة
- والثالث: العمل بمقتضى تلك الشهادة

فمتى ما تخلف واحد من الثلاث لم تكن تلك الشهادة شهادة صحيحة قد تُسَمَّى شهادة لكنها لا تُسَمَّى شهادة صحيحة فكم من شاهد يشهد بما ليس بحق ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم وشدد من شهادة الزور "ألا وقول الزور ألا وقول الزور ألا وقول الزور فما زال يكررها" صلوات الله وسلامه عليه هذه شهادة لكنها شهادة باطلة وكذلك شهادة من عبد الاصنام والأوثان لهذه المعبودات باستحقاقها للعبادة هي شهادة باطلة غير صحيحة ولا شك من حيث أنها عبادة غير صحيحة لكن من حيث أنها شهادة وتُسَمَّى شهادة هي تنطبق عليها أوصاف الشهادة

معنى لا إله إلا الله: ذكره المصنف رحمه الله تعالى

❁ فقال: معناها أنه: "لا حقيق بأن يُعبد إلا الله عز وجل" أي لا مستحق بأن يُعبد إلا الله عز وجل، وهنا مسألة لابد من توضيحها وهي: أن الإله في اللغة يطلق على معنيين:

- الأول: المستحق للعبادة
- الثاني: بمعنى المعبود

وهذه المعاني عند التفصيل والخوض في تفاصيل ما يتعلق بمسائل التوحيد ومسائل الشرك تحتاج إلى هذه المعاني لإبطال هذه الشبه التي ترد على باب التوحيد وما يتعلق بمسائله

يقول المعلمي رحمه الله تعالى في كتابه "رفع الاشتباه" قال: لفظ إله قد يأتي بمعنى "مستحق للعبادة" وقد يأتي بمعنى "معبود" قال: "وإن كلمة الشهادة تتضمن التوحيد في الأمرين".

في استحقاق الله عز وجل للعبادة وفي أنه سبحانه وتعالى معبود

قال: "وإن كلمة الشهادة تتضمن التوحيد في الأمرين وإن الإخلال بأحدهما شرك".

انتهى كلامه رحمه الله.

۞ المصنف رحمه الله تعالى ذكر معنى للعبادة وهذا المعنى الذي ذكره رحمه الله تعالى قد أشكل على بعض من لم يتوسع في مراد المصنف رحمه الله تعالى وهنالك من كتب في إيراد الإشكالات على هذا التعريف الذي ذكره المصنف رحمه الله وهنا بحكم صغر هذه الرسالة وقصرها ولعلها بحكم أنها وصية لأحد تلاميذه الذي لازمه عامين كاملين وهو عارف بمراد المصنف فلعل كان ذلك من أسباب أنه لم يخض في تفاصيل هذه المسألة وأنه رحمه الله تعالى قد أطال جداً في كتابه رفع الاشتباه في بيان معنى العبادة وفي بيان معنى الإله ولعله من أوسع ما كتب في معنى الإله وفي معنا العبادة كتابه يسمى "رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله" ويسمى أيضا "كتاب العبادة" وهو كتاب نافع ينبغي لطلبة العلم ان يحرصوا على الاستفادة من هذا الكتاب لكن كتاب متقدم يعني من أراد ان يقرأ فيه يكون له حظ من القراءة من المتون التي هي أقصر من ذلك والمتعلقة بالتوحيد.

ذكر المصنف رحمه الله تعالى أمراً: وهو أن المتكلمين قد أغفلوا ذكر معنى العبادة وإنك لا تكاد تجد تفسيراً أو تعريفاً عند المتكلمين للعبادة فقال رحمه الله تعالى: "أما المتكلمون وأهل العقائد المسمى بعلم التوحيد" طبعاً علم التوحيد المراد به نفي الصفات عندهم "فلم أقف على كلام بَيِّن في تفسير العبادة وكأنهم يرون أن الكلام عليها خارج عن فنهم" خارج عن الفن الذي يخوضون فيه برغم أن الكلام في توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته هو أعظم ما أُرسلت به الرسل وهم بما يسمونه علم الكلام يسمونه توحيدا ومع ذلك أغفلوا الكلام على عبادة الله سبحانه قال رحمه الله : "بل صرح به السعد في شرح المقاصد" هذا أحد علمائهم

۞ قال رحمه الله تعالى هنا في تعريف العبادة: "والعبادة هي الخضوع والتذلل طلبًا لنفع غيبي":

نحتاج شوي تركيز منكم، التعريف المشتهر عند أهل العلم هو التعريف الذي ذكره ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب "العبودية" وهو: "العبادة اسم جامع لك ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال" هذا هو التعريف المشتهر المنتشر في تعريف العبادة وهو تعريف محرر ولا شك المعلمي رحمه الله تعالى في كتابه رفع الاشتباه أراد أن يزيد التحرير والبيان في معنى العبادة لأن تحرير معنى العبادة تترتب عليه كثير من مسائل التوحيد وما يضاده، كثير من المسائل المتعلقة بالتوحيد وما يضاده هي متعلقة بمعرفة معنى العبادة ومعنى الإله ومعنى الشرك ومعنى التوحيد وما يخرج منه وما يدخل فيه كل ذلك إذا ضبط انفكت تلك العُقد والشُّبه التي تندرج تحت مسائل التوحيد.

۞ نذكر هنا باختصار ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه رفع الاشتباه حول التعريف

۞ فقال رحمه الله تعالى: "وتحرير العبارة في تعريف العبادة أن يقال خضوع اختياري يطلب به نفع غيبي" ..

۞ إلى أن قال: "وقوله خضوع يتناول ما كان بالطاعة وما كان بالتعظيم" لأن العبادة تفتقر إلى الطاعة وتفتقر إلى تعظيم المطاع تفتقر الى الطاعة طاعة هذا المعبود وتفتقر إلى الطاعة طاعة هذا المطاع وقد أطال في ذلك ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه العبودية

۞ قال: "وقوله اختياري يخرج به المكره ونحوه": فالمكره لا يدخل في العبادة إذا أُكره الانسان على العبادة فلا يقال إنه عابد على الوجه المراد بل لابد أن يعبد اختياراً ليس إجباراً

۞ وقوله يُطلب به قال: "يدخل فيه ما يكون الخاضع طالباً بالفعل بأن يكون له اعتقاد أو ظن أو احتمال أن ذلك الخضوع سبب لنفع غيبي": مراده رحمه الله بقوله: " يدخل فيه ما يكون الخاضع طالباً بالفعل" أي إذا فعل هذا الخاضع فعلا وهو يعتقد أن هذا الفعل يترتب عليه فعل غيبي أو أنه يظن أنه يترتب عليه نفع غيبي أو أنه يحتمل أنه يترتب عليه نفع غيبي فهو داخل في العبادة فسواء كان جازم أن هذا الفعل الذي سوف يفعله يترتب عليه نفع غيبي أو يحتمل عليه نفع غيبي أو يغلب على ظنه أنه يترتب عليه نفع غيبي فهو داخل في تعريف العبادة التي ذكره رحمه الله تعالى.

❁ قال: "وقوله نفع أريد به ما يشمل دفع الضرر": كل أنواع النفع سواء كان جلب المنفعة أو دفع الضرر كل ذلك يدخل في العبادة ونمثل على ذلك حتى نقرب المعنى: الانسان لو صلى فإن صلاته يترتب عليها نفع ولا شك يترتب عليها رضى الله يترتب عليها دخول الجنة يترتب عليها أمور كثيرة الانسان لو دعا الله سبحانه وتعالى أن يكشف عنه ضراً أو أن يرفع عنه فكذلك يترتب عليها نفع وهو دفع هذا الضر عنه، وقوله رحمه الله تعالى: "غيبي": يريد به ما كان على خلاف العادة المبنية على الحس والمشاهدة هذا يفسر لك أو يفك كثير من الإشكالات التي في التعريف فقوله غيبي يريد بذلك ما كان على خلاف العادة المبنية على الحس والمشاهدة

❁ نضرب على ذلك مثال: إنسان قد يكون به مرض فلو دعا الله سبحانه وتعالى طلباً لنفع غيبي والنفع الغيبي قلنا ما كان على خلاف العادة أو الحس والمشاهدة فهل هنالك شيء يُرى في رفع هذا المرض قد يرتفع عنه المرض بالدعاء.

❁ مثال آخر: التمائم إنسان لو لبس تميمة هل ترفع عنه ضر هل تجد له نفع فمتى ما اعتقد الانسان في بعض الأسباب أنها تجلب نفعا أو تدفع ضُرًا مما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى ولم يكن على الحس والمشاهدة الظاهرة كان ذلك خارجاً عن التوحيد وداخلاً في الشرك سواء كان أكبر أو أصغر.

نُعيد باختصار:

❁ الخضوع: يراد به الطاعة مع التعظيم، أن يطيع مُعظماً

❁ قوله: خضوع اختياري: أي أنه يفعله مختار ليس مكرها، يفعل هذا الخضوع مختار ليس عن إكراه

❁ قوله: يُطلب به: أي أنه يُقصد بهذا الخضوع الاختياري ما كان عن اعتقاد جازم أنه تترتب عليه نفع غيبي يعني أنه فعل فعلاً يعتقد يقيناً أنه يترتب عليه نفع غيبي أو يغلب عليه أنه يترتب عليه نفع غيبي فهو داخل فيها في تعريف العبادة.

❁ قوله: نفع غيبي: قلنا النفع يدخل فيه جلب النفع ودفع الضر سواء كان هذا النفع في الدنيا أو كان في الآخرة سواء كان دفع الضر في الدنيا أو في الآخرة كالعذاب في النار ..الخ

❁ وقوله: غيبي: ما كان على خلاف العادة والحس والمشاهدة: شيء لا يُدرك إنسان ممكن يشرب الدواء ويشفى هذا ظاهر لكن لو قال لك لو صافحتك تشفى من هذا المرض فهذا سبب لكن هل هذا السبب صحيح أو لا ولو ترتب عليه ما ترتب فهذا على خلاف الحس والمشاهدة، الحس والمشاهدة تخالف هذا ولا ترتضي هذا كيف إنسان يصافح إنسان ويشفى من مرض فهو خلاف الحس والمشاهدة بل لابد أن يكون هناك سبب ظاهر وتأثير ظاهر يُعلم منه حصول هذا النفع أو دفع هذا الضر هذا المراد بكلام المصنف رحمه الله رحمة واسعة.

❁ نمر على كلامه رحمه الله تعالى قال: " والعبادة هي: الخضوع والتذلل طلبًا لنفع غيبي ، تسمي العرب الطلب إذا كان الطالب أعلى من المطلوب منه : أمرًا،": إذا كان الطالب أعلى من المطلوب منه كالمدير إلى من هو أدنى منه كالمسؤول إلى من هو أدنى منه الحاكم إلى من هو أدنى منه تسميه أمراً أي أمره بكذا.

❁ قال: "فإن كان أعلى منه سمته : سؤالاً ": يعني من الأدنى إلى الأعلى يسمى سؤال وكذلك يسمى التماساً، التمس منه أو سأله كذا وكذا.

❁ قال:"فإن كان طلب النفع غيبي سمته : دعاءً": وهذا الكلام الذي تكلمنا عليه في تعريف العبادة.

❁ قال: " فالملك إذا طلب من خادمه شيئًا قيل: أمره بكذا وكذا، والتلميذ إذا طلب من زميلله شيئًا قيل: التمس منه كذا، والرَّعوي إذا طلب من الملك شيئًا قيل: سأله كذا، تقول: سألتُ الملك أن ينصفني من خصمي " لأنه من أدنى إلى أعلى.

❁ قال: " ولا يقال: دعوت الملك أن ينصفني من خصمي، نعم يقال: دعوت فلانًا، بمعنى: ناديته، وهذا معنى آخر، إنما الخاص بالنفع الغيبي هو الدعاء بمعنى السؤال الذي هو طلبا لنفع: متى يسمى هذا الطلب من الأدنى إلى الأعلى سؤالاً؟ إذا كان طالباً لنفعاً غيبياً على التعريف الذي ذكرناه، إذا كان يريد منه نفعاً غيبياً يسمى دعاء على التعريف الذي ذكرناه للطلب الغيبي أي ما كان على خلاف الحس والمشاهدة سواء كان جلب منفعة أو دفع ضر.

❁ قال: "فالدعاء بمعنى سؤال النفع الغيبي هو روح العبادة، وبقية العبادات متضمنة له؛ لأنها كلها يُطْلَب بها النفع الغيبي، فمن دعا الله – عزَّوجلَّ–، أي: سأل منه أن يرحمه، أو يشفيه، أو يغنيه، أو غير ذلك، فقد عبده، ومَن دعا غير الله – عزَّوجلَّ–، أي: سأل منه نفعًا غيبيا فقد عبد غير الله –عزَّوجلَّ": مثال على النفع الغيبي في دعاء غير الله عز وجل: دعاء الاصنام والأوثان إذا دعاهم الانسان لأجل أن يقربوه إلى الله سبحانه وتعالى هل هذه القربى من الله عز وجل أمر محسوس مشاهد هل هو على العادة أو هو خلاف العادة وغير محسوس وغير مشاهد القربة من الله؟ على خلاف العادة ولذلك كان ذلك شركاً.

❁ قال: " فأما الخضوع والتذلل طلبًا للنفع الغيبي، فإن الله إذا أمر بالتذلّل لغيره، فامتثلنا ذلك كنّا عابدين لله – عزَّوجلَّ–، لا لمن وقع في الخضوع في الصورة له":

❁ مثاله: الله سبحانه وتعالى أمر بالخضوع للوالدين " وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ" لكن خضوعك للوالدين هل هنالك طلب لنفع غيبي أو لا؟ يوجد وهو رضا الله عز وجل وهذا نفع غيبي طيب أنت خضعت للوالدين وطلباً لنفع غيبي فهي عبادة ولكن أنت خضعت للوالدين بأمر الله سبحانه وتعالى

كان في شريعة بني إسرائيل جواز السجود لكن لا على سبيل العبادة للمسجود له وإنما على سبيل تعظيمه أو السلام أو التحية كان هذا موجود في شريعة بني إسرائيل كما أتى في قصة يوسف "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا "

هذا كان عندهم مؤذون به فلما كان بإذن الله سبحانه وتعالى لم يكن ذلك عبادة للمسجود له وإنما كان عبادة لله سبحانه وتعالى هذا هو مراد المؤلف رحمه الله تعالى

❁ لذلك قال: " فمن تذلل لوالديه إلى الحدّ الذي أذن الله به، وقصد بذلك امتثال أمر الله – عزَّوجلَّ– فهو عابد لله، لا للوالدين ".

قال المؤلف رحمه الله:

فوصيتي لمحمد ولكلّ مسلم أن لا يدعو إلا الله، ولا يفعل فعلاً فيه خضوع يطلب به النفع الغيبي إلا إذا علم أن الله عزَّوجلَّ أمربه، وأذن فيه، فمن تحقق هذا الأمر والتزمه فلم يدعُ إلا الله عزَّوجلَّ ولم يقصد بفعل ما فيه خضوع يطلب به النفع الغيبي إلا ما علم أن الله تعالى أمر به أو أذن فيه فقد برئ من الشرك، ومَن لم يتحقق هذا المعنى، وشكّ فيه، فعليه أن يحتاط ومَن اطلع على هذا أو شكّ فيه، ثم لم يحتط، فحاصل ذلك أنه أقدم على ما يمكن عنده أن يكون كفرًا وشركًا، والمهم أن تلتزم سبيل النجاة، وتدعو إليه، وأن تحسن ظنك بالناس، فمادام محتملاً عندك في شخص أنَّ له عذرًا مقبولاً عند الله عزَّوجلَّ فاحمله على السلامة، وكِلْ أمرَه إلى الله عزَّوجلَّ.

❁ ذكر هنا وصية لمحمد وهو الموصى له بهذه الرسالة وكما ذكرنا في المجلس الماضي أن المعلم إذا خص التلميذ بالوصية كان ذلك أوقع في نفسه وفي صدره كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خص بعض أصحابه بأشياء دون غيرهم سواء كان تخصيصه لهم بالدعاء أو كان تخصيصه لهم صلى الله عليه وسلم ببعض الأحاديث كما خص أبا هريرة رضي الله عنه بالبشارة ولما خرج أبا هريرة رضي الله عنه أراد أن يبلغ الناس دفعه عمر ورده إلى النبي صلى الله عليه وسلم وخص حذيفة رضي الله عنه بأخبار المنافقين وأسمائهم وخص عليه الصلاة والسلام ابن عباس بالدعاء وخص أنس رضي الله عنه بالدعاء إلى غير ذلك مما ورد عنه صلى الله عليه وسلم، فجاءت الوصية بخلاصة ما مر معنى من افراد الله سبحانه وتعالى بالدعاء وأن يكون الدعاء لله سبحانه وتعالى دون غيره وأن لا يفعل فعلا يكون فيه طلب لنفع غيبي على ما ذكرناه من التعريف إلا فيما اذن الله سبحانه وتعالى فيه.

❁ قال: فمن تحقق هذا الأمر والتزمه فلم يدعُ إلا الله عزَّوجلَّ ولم يقصد بفعل ما فيه خضوع يطلب به النفع الغيبي إلا ما علم أن الله تعالى أمر به أو أذن فيه: لابد من هذا الشرط إذا كان هنالك خضوع لطلب نفع غيبي.

❁ قال: فقد برئ من الشرك، ومَن لم يتحقق هذا المعنى، وشكّ فيه، فعليه أن يحتاط ومَن اطلع على هذا أو شكّ فيه، ثم لم يحتط، فحاصل ذلك أنه أقدم على ما يمكن عنده أن يكون كفرًا وشركًا :والعياذ بالله.

قال المؤلف رحمه الله:

المطلب الرابع

شهادة أن محمدًا رسول الله

ومِنْ لازمِ ذلك تصديقُه في كلِّ ما أخبر به عن ربه عزَّوجلَّ، واستيقان أن ذلك حق محض لا ريب فيه، ويتبع ذلك المحبة، والطاعة، والاتباع.

هذا المطلب الرابع الذي ذكره رحمه الله تعالى سبقت الإشارة اليه عند كلامه عن الرسل والإيمان بالرسل ولكن هنا خص الكلام بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهادة أن محمداً رسول الله يلزم منها ما ذكرناه في الشهادة الصحيحة من تحقق ثلاثة أمور:

- إقرار القلب
- نطق اللسان
- العمل بمقتضى هذه الشهادة من الاتباع.... الخ

وشهادة أن محمداً رسول الله تدور حول أربعة أمور تحوي كلما يتعلق بهذه الشهادة إن شاء الله:

- الأول: تصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر: فتصدقه صلوات الله وسلامه عليه في كل ما أخبر به من الشواهد والغيبيات.
- والثاني: امتثال ما به أمر: فتمتثل كل ما أمر به صلوات الله وسلامه عليه.
- والثالث: ترك ما نهى عنه وزجر: فتترك كل ما يخالف أمره أو ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم.
- والرابع: أن لا يعبد الله إلا بما جاء عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم.

هذه أربعة أمور هي خلاصة شهادة أن محمداً رسول الله مع ما يتبع ذلك من المحبة والطاعة والاتباع له صلى الله عليه وسلم.

لعلنا بهذا نختم أسال الله أن يختم لي ولكم بالصالحات والله أعلى وأعلم.

أسئلة:

س: يقول السائل بارك الله فيكم حديث إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه ثم استخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ارجو منكم توضيح معنى هذا الحديث؟

ج: توضيح معنى هذا الحديث هو ما يتعلق بعلم الله سبحانه وتعالى وأن الله سبحانه وتعالى عَلِمَ ما العباد عاملون وأنه سبحانه وتعالى على ما سبق في علمه عَلِمَ أهل الجنة وعَلِمَ أهل النار

ولا شك أن كل ذلك تابع لمشيئته سبحانه وتعالى وأن مشيئة العبد تبع لمشيئة الله سبحانه "وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا"

وأعمال العبد في الدنيا تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى ولا شك ولكن هنا تفصيل متعلق بالإرادة الشرعية فالله سبحانه وتعالى أراد شرعا من عباده أن يلتزموا طاعة أمره وأن ينتهوا عما نهى عنه سبحانه وتعالى فأراد منهم سبحانه وتعالى ذلك شرعا وهي التي بمعنى محبة ما يريده الله عز وجل ويرضاه

فمن امتثل ما أراده الله سبحانه وتعالى منه شرعا كان من أهل الجنة ومن لم يمتثل ما أراده الله سبحانه وتعالى منه شرعا استحق أن يكون من أهل النار فما هو متعلق بهذا الحديث هو في سابق عَلِمَ الله سبحانه وتعالى من أعمال البشر والله اعلم.

س: ما يتعلق بإنكار مراتب القدر هل هي كفر أو لا؟

ج: مراتب القدر إنكارها قد يكون كفراَ وقد لا يكون كفراً وأهل العلم قد تكلموا على المراتب هذه الأربعة وهذا يستلزم التفصيل فيما قالته القدرية وما قالته الجبرية

القدرية: نفوا عِلم الله سبحانه وتعالى السابق وأن الله سبحانه وتعالى لا يَعلم الأشياء حتى تقع.

وأما الجبرية: فإنهم أثبتوا عِلم الله سبحانه وتعالى ونفوا عن العبد الإرادة فجعلوا العبد مسلوب الإرادة وأنه يفعل كل ما يفعله في هذه الدنيا وهو مجبر عليه فيفعل الطاعة وهو مجبر عليها ويفعل المعصية وهو مجبر على فعل تلك المعصية.

فمن أنكر علم الله سبحانه وتعالى وأنكر علم الله بالأشياء وقال أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الأشياء حتى تقع فهذا لا شك أنه واقع في الكفر والعياذ بالله سبحانه ولكن الذي أثبت لله سبحانه وتعالى العلم فلا يقال فيه ما قيل فيمن أنكر عِلم الله عز وجل كذلك من أنكر خلق الله سبحانه وتعالى للأشياء

فمن أنكر أن الله سبحانه وتعالى خالق للأشياء هذا كفر وردة بإجماع أهل العلم

لكن من كان عنده ريبة في أن الله سبحانه وتعالى خلق أفعال العباد فهذا فيه مقال ويحتاج إلى تفصيل فيما يترتب عليه من الاعمال المسائل تحتاج إلى تفصيل أكثر والله اعلم.

س: الأخ لعله التبس عليه ما ذكرناه يقول لماذا خص الدعاء بأنه طلب نفع غيبيولماذا لم يدخل النفع المحسوس كطلب العافية وطلب سعة الرزق لم أفهم هذه الجزئية؟

ج: هذه ذكرناها حصول النفع المحسوس كطلب العافية وطلب سعة الرزق حصول هذه الأشياء لا تفهم معنى كلمة غيبي أنه شيء لا تراه الأشياء التي يترتب عليها الأثر لكن طريقة حصول هذا النفع الطريقة التي يحصل بها النفع والوسيلة التي يحصل بها النفع, أنت دعوت الله سبحانه وتعالى فأوسع لك في رزقك سبحانه وتعالى هذا يحصل على خلاف الحس والمشاهدة كذلك سعة الرزق, كذلك طول العمر لو دعا الانسان لنفسه أو لغيره بطول العمر, وكذلك ما جاء في الحديث: "الانسان يوسع له في عمره ويبسط له في رزقه إذا وصل الرحم" فصلة الرحم سبب لسعة الرزق كذلك لطول العمر لكن كيف يحصل هذا النفع الغيبي عن طريق صلة الرحم ما علاقة صلة الرحم بطول العمر ماهي العلاقة المباشرة ما الذي يحصل من ذلك ما الذي يترتب على ذلك هذا غيبي لا يظهر لنا لكن تصديقنا ايماننا بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذا الفعل يترتب عليه هذا النفع الذي هو نفع غيبي من جهة حصول هذا النفع هو داخل في هذا المعنى والله اعلم.

س: ما معنى الخضوع؟

ج: التذلل: المراد به الخضوع الانسان إذا تذلل لله خضع لله عز وجل وخشع لله سبحانه وتعالى والتذلل هو الخشوع والخضوع.

س: الأخ يقول كيف نفهم إذا كان معنى النفع الغيبي ما كان على خلاف العادة والحس والمشاهدة لكن يقول لك الكافر أن هذه من عاداتنا عبادة الاصنام أو الصليب وكيف يرد عليهم؟

ج: لا تحتاج إلى رد من جهة بيان أن هذا ليس عبادة مشروعة فهو من جهة تسميتها عبادة هي عبادة خضوع اختياري يطلب به نفع غيبي ينطبق عليها هذا

المعنى لكن هل هذه العبادة هي لله أو لغير الله هذه مسألة أخرى لا يختلط علينا معنى العبادة في نفسها تعريف العبادة التي قد تصرف لله وقد تُصرف لغير الله هذا معنى يفهم لكن هل هي صرفت بطريقة صحيحة أو بطريقة خاطئة هذه مسألة أخرى فمن جهة تسميتها عبادة هي عبادة خضوع يطلب به نفع غيبي والله أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا محمد.

الدرس الثالث:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،،

فلازلنا مع وصية العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي عليه من الله الرحمة الواسعة وأسكنه فسيح جناته وكنا قد انتهينا البارحة من المطلب الرابع

بالنسبة لما ورد ذكره في المطلب الثالث حتى إن شاء الله نثبت ما أخذناه البارحة من كلام المصنف رحمه الله تعالى وتعريفه

ذكرنا البارحة أن المصنف رحمه الله تعالى قد عرف العبادة بأنها الخضوع والتذلل طلباً لنفعٍ غيبي وعرفها في موضع آخر فقال: "خضوع اختياري يطلب به نفع غيبي" وذكرنا أن مراد المصنف رحمه الله تعالى بذلك

مراده بقوله خضوع : ذلك لأن العبادة لا تتم إلا إذا كان فيها خضوع وذل لله عز وجل ولا تُسَمَّى عبادة إلا إذا كانت بذُل وخضوع ومتى ما انفكت العبادة عن وجود الذل أو الخضوع فإنها لا تُسَمَّى عبادة والخضوع والذل يتفاوت وهو بتفاوت إيمان العبد وبتفاوت ما يقوم في قلبه حال أداء العبادة فقد يقوم في قلب العبد من الخضوع لله عز وجل والإخبات والإقبال عليه ما لا يكون عند غيره وبهذا يتفاوت الناس أيضا في عبوديتهم لله عز وجل ولذلك كان من وصف أهل الإيمان أنهم أهل خشوع هذا من وصف أهل الإيمان قال الله سبحانه وتعالى في الصلاة:" وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ"الخشوع ليس معناه فقد التدبر والتفكر كما يغلب على

كثير من الناس فهمه ليس المراد التَّدَبُّر والتَّفَكُّر فقط بل هو أشمل من ذلك فهنالك خشوع وخضوع للجوارح وهنالك خشوع وخضوع للأركان ولذلك لما رأى رجل من الصحابة رجل يُكثر الحركة في صلاته قال:"لو خشع هذا لخشعت جوارحه" فالخشوع يكون في القلب ويكون الخشوع في الجوارح ويكون الخشوع أيضا في الأقوال والأعمال فالخشوع ليس فقط متعلقا بتدبر القلب لآيات الله بل هو أشمل من ذلك فالعبادة لا تكون عبادة تامة صحيحة إلا بوجود الخشوع والخضوع لله عز وجل والناس كما ذكرنا يتفاوتون في الخشوع والخضوع، قال: "خضوع اختياري" وهو يريد بذلك أن يخرج المكره، الإنسان إذا تعبد فإنه يَتَعَبَّد اختياراً طوعاً لا كراهية ومن تَعَبَّد وهو كاره لذلك هذه لا تُسَمَّى عبادة "يطلب به نفع غيبي" وقوله نفع غيبي قلنا مراده من ذلك أن طريقة حصول هذا الأمر لا تُدرك بالحس ولا بالمشاهدة،فطلب الشفاء مثلا بالرُّقى هذا مشروع ولا شك، طلب الشفاء عن طريق الدعاء هذا مشروع ولا شك لكن كيف يتم حصول النفع بالرُّقية ما هو التأثير الحاصل والعلاقة الحاصلة بين هذا القرآن الذي يُتلى وبين هذا المريض فهنالك علاقة ولا شك لكن هذا الأمر قد أباحه الشرع فهو سبب الرُّقية سبب لكن من الذي جعلها سبب؟: الله سبحانه وتعالى وبخلاف الكلام على التمائم، التميمة قد تُلبس لأجل رفع المرض والاستشفاء يلبسها الكثير من الناس لكن التمائم لا يحصل بها الشفاء وإن حصل فهو على وجه الابتلاء فمن جعل التميمة سبب لحصول الشفاء فهو قد طلب نفعاً غيبياً بغير الطريق الصحيح فهذا مُراد المؤلف رحمه الله تعالى من قوله "نفع غيبي" وزاد عليه في موضع آخر في كتابه رفع الاشتباه لم نذكره البارحة لكن أشار إليه هنا في هذا الرسالة قال: "إن كان بسُلطان" يعني بحُجَّة وبدليل فهو عبادة لله "وإن كان بغير سُلطان" فهو عبادة لغير

الله، إن كان بسُلطان هذا الفعل الذي فعله فهو عبودية لله سبحانه وتعالى يعني بحُجَّة وبدليل تعبد لله سبحانه وتعالى أو خضع للوالدين خضوعه للوالدين بالقدر الذي أباحه الله سبحانه وتعالى له هذه عبادة لله سبحانه وتعالى لأن الله أذِن له بذلك أما إن كان بغير سُلطان يعني بغير دليل بغير حُجَّة له كما ذكرنا في مثال التمائم وكذلك قد يُذكر في غيرها من الأمثلة كمن يخضع للأصنام والأوثان ومن يفعل ما يفعل عند القبور من التعظيم الذي لم يُبِحه الله سبحانه وتعالى فهذا خضوع اختياري طلب لنفع غيبي لكنه بغير سُلطان من الله سبحانه وتعالى ولم يأذن به الله عز وجل فكان عدم إذن الله عز وجل بهذا الخضوع الاختياري طلباً لنفعٍ غيبي عدم إذن الله به صَيَّر ذلك شركاً بالله عز وجل والعياذ بالله هذا على سبيل الاختصار حول ما كان عندنا البارحة.

قال المؤلف رحمه الله:

المطلب الخامس

بقية أركان الإسلام

وهي أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان، وهذه الأشياء تشتمل على أحكام : منها: ما اجتمعت عليه الأمة، ومنها: ما اختلفت فيه، فالمجْمع عليه لابدّ من العمل به على كلّ حال، وأما المختلف فيه فالواجب ردّه إلى الله – عزَّوجلَّ– وإلى رسوله، وذلك بالرد إلى الكتاب والسَّنة، فمن عرف من الكتاب أو السنَّة أن قولاً من الأقوال المختلفة فيها أرجح من غيره، فقد لزمه الأخذ به، فإن تركه إيثارًا لقول شيخه أو إمامه، صدق عليه أنه اتخذ غير الله رباً مع الله، أي : مُطاعًا فيشرع الدين.

- هذا المطلب الخامس وقد تكلم فيه المصنف رحمه الله عز وجل في مسائل راجعة إلى أصول الفقه وهي مسائل يحتاجها الطالب ويحتاجها المسلم عموماً ولا شك، ذكر أركان الإسلام المتبقية وهي أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان

- قال: وهذه الأشياء تشتمل على أحكام : منها: ما اجتمعت عليه الأمة، ومنها: ما اختلفت فيه:

من الأدلة المتفق عليها بين أهل السُنَّة:"الإجماع" قد خالف في ذلك بعض المتكلمين كالنظام وغيره لكن أهل السنة قد اتفقوا على أن الإجماع دليل معتبر شرعاً دلت عليه النصوص الشرعية وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان.

والإجماع لغة: هو العزم والاتفاق.

وفي اصطلاح الأصوليين هو: ما اتفق عليه علماء عصر بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الدين.

- "ما اتفق": خرج بذلك ما اختلفوا فيه.
- وقولنا: "علماء العصر" خرج به غير المجتهدين فلا يُعدون في العلماء
- وخرج بقولنا: "بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم" ما كان من أحكام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ففي زمن النبي صلى الله عليه وسلم العبرة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك بالقرآن
- أما بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فيرجع إلى الإجماع لأن الاختلاف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوع ولا شك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا حصل أو نزلت بهم نازلة يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وإن كان يحصل منهم نوع اجتهاد فإنهم حتى في الاجتهاد إذا لم يكن عندهم النبي صلى الله عليه وسلم يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ويسألون عما اجتهدوا فيه هل أصابوا أم أخطأوا كما حصل مع عبد الله بن عمرو بن العاص حين كان جنبا فتيمم وصلى بهم إماماً فرجعوا فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني سمعت الله يقول:"وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك الاجتهاد، فعلى كل حال الاجتماع المعتبر هو ما كان على هذا الوصف ما كان من اتفاق علماء العصر الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت الذي حصل فيه الإجماع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.

❁ وخرج بقولنا: "في أمر من أمور الدين" خرج ما كان ليس من أمور الدين والله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه الكريم: "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"هذا الأمر في حال التنازع ومقتضى مفهوم المخالفة لهذا الأمر أنه إذا لم يكن ثم تنازع فلا حاجة للرجوع بل الرجوع إلى ما اتفقوا عليه والعبرة فيما اتفقوا عليه

ولذلك يقول الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى قال: "فدل على أن الرد يجب في حال الاختلاف ولا يجب في حال الاجتماع" وهذه مسألة مهمة يا إخوة أود لو أني أنبّه على قضية مهمة:كثير من طلبة العلم ولا أقول من أهل العلم إذا وقف على مسألة قد ذكر فيها الإجماع فإنه يرجع لى ما فهمه من بعض الأدلة التي يظنها مخالفة للإجماع وسبيل العلماء الربانيين الصادقين الناصحين أنهم كانوا إذا وقفوا على حديث أو حتى آية وكان لهم فَهْمٌ فيها فإنهم ينظرون إلى من سبقهم إلى هذا الفَهْم في هذه الآية ولا يعارضون من سبقهم من أهل العلم وهذا سبيل العلماء الربانيين ولذلك قد تذكر أحيانا لبعض طلب العلم تقول له المسألة فيها إجماع فيقول لك كيف فيها إجماع وهنالك الحديث الفلاني والحديث الفلاني والفلاني، وقد يعدد لك عشرة أحاديث، هذا فهمك أنت لهذا الحديث قد يقولك قائل قد قال به فلان من أهل العلم فالعبرة بالسابق لا باللاحق فإذا سبق الإجماع الاختلاف فلا عبرة باختلاف بعد الإجماع لأن الإجماع حُجَّة قاطعة لازمة بنفسه فهذا الذي عليه أهل السنة فلا عبرة بأي خلاف قد حصل بعد الإجماع بل المرجع في ذلك إلى الإجماع وكذلك الصحيح من أقوال أهل العلم لو حصل إجماع بعد اختلاف فالعبرة بهذا الإجماع الذي قد حصل والمرجع اليه فالإجماع حُجَّة قاطعة وحتى لو لم تعرف مستند ذلك الإجماع وما الذي استند عليه الإجماع وما هو المرجع

في ذلك الإجماع ما دام أن الإجماع قد ثبت وحصل فهو حُجَّة وهذا هو سبيل العلماء الربانيين الصادقين في سيرهم على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى طريقة أصحابه رضي الله عنهم

❁ قال هنا رحمه الله تعالى: "فالمجْمع عليه لابدّ من العمل به على كلّ حال": وهذه قاعدة شرعية عظيمة لابد من استعمالها بل إن بعض أهل العلم يوجب على الناظر والباحث في مسائل الفقه أن ينظر إن كان في ذلك إجماع أو لا قبل أن يتوسع في البحث فإنه إن وجد إجماع فإنه قد اختصر على نفسه الجهد المبذول في غير موطنه أو غير مطلوب منه هذا الجهد الذي يبذله في البحث في مسألة قد أُشبعت من أهل العلم وقد اتفق فيها أهل العلم على أحد الأقوال.

❁ قال: "وأما المختلف فيه فالواجب ردّه إلى الله – عزَّوجلَّ– وإلى رسوله ": وهذا كما ذكرنا في قوله تعالى: "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"

❁ قال: "وذلك بالرد إلى الكتاب والسَّنة فمن عرف من الكتاب أو السنَّة أن قولاً من الأقوال المختلفة": هكذا قال ولعلها المختلف"فيها أرجح من غيره، فقد لزمه الأخذ به":وهذه كلها قواعد مهمة يا إخوة كل جملة هي قاعدة من القواعد المهمة التي يحتاج إليها طالب العلم

لذلك يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله رحمة واسعة: "لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقال زُفَر بن الهُذيل: "إنما نأخذ بالرأي ما لم يجئ الأثر فإذا جاء الأثر تركنا الرأي وأخذنا بالأثر" والأثر المراد به هنا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم.

❁ قال المعلمي: "فإن تركه إيثارًا لقول شيخه أو إمامه، صدق عليه أنه اتخذ غير الله رباً مع الله، أي: مُطاعًا في شرع الدين":

وهذه مسالة دقيقة يا إخوة: الله سبحانه وتعالى قد أوجب علينا اتباع كلامه سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بذلك وأوجب علينا سبحانه وتعالى اتباع ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في نصوص كثيرة ذكرنا بعضها البارحة ومن خالف ما جاء في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالواجب أن يُرَد إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه وهذا يتعلق بمسألة ذكرناها البارحة وهي أن الله "عليم حكيم" سبحانه وتمام علمه وتمام حكمته تقتضي علمه بما يصلح العباد منهم وما يصلح لمعاشهم وما يصلح لهم في آخرتهم فهو أعلم سبحانه وتعالى بجميع عباده وكذلك إنه سبحانه وتعالى حكيم له الحكمة البالغة وله الحكم سبحانه فحكمته بالغة ولا شك أن ما من مخلوق يصل إلى حكمة الرب جل جلاله وإن الله سبحانه وتعالى له الحكم المطلق فإليه يرجع الحكم

كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام: "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ" فالمرجع في ذلك إلى حكم الله سبحانه وتعالى والذي أوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

وهنا قد أشار إلى مسألة مهمة في قوله: " صدق عليه أنه اتخذ غير الله رباً مع الله " هذه المسألة لها ضابط عند أهل السنة وهي راجعة إلى قول الله سبحانه وتعالى: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ"

فقال عدي بن حاتم الطائي حين سمع هذه الآية: وعدي كان نصرانيا ثم أسلم قال يا رسول الله انَّا لم نكن نعبدهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عدي الم يكونوا يُحلوا لكم الحرام ويُحرموا عليكم الحلال فتتبعوهم" قال بلا يا رسول الله قال: " فتلك عبادتهم"

فالضابط في ذلك المفهوم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم "أنه من اعتقد أن غير الله سبحانه وتعالى له أن يُحل الحرام أو يُحرم الحلال فإنه قد صدق عليه أنه قد اتخذه رباً مع الله" لا بد من هذا الضابط ولا يخرج عنه.

من اعتقد أن غير الله يحل له ويجوز له ويشرع له أن يُحل الحرام أو يُحرم الحلال فقد صدق عليه ذلك لا بد من هذا الضابط حتى ما يتوسع ويفتح الباب أمام مسألة خطيرة متعلقة في الأحكام وما يتعلق بالتكفير.

قال المؤلف رحمه الله:

ومَن لم يعرف من كتاب الله –عزَّوجلَّ– وسنَّة رسوله أيَّ القولين أو الأقوال أرجح، وكان أهلاً للنظر والبحث والفهم المعتدّ به، وتيسّر له ذلك؛ فلينظر وليبحث، ومن لم يكن كذلك، ووجد عالمِا يثق بعلمه ودينه، وتحرِّيه الحق، وغلبت الإصابة في فهمه، وشدّة ورعه، واحتراسه في الهوى؛ بحيث يغلب على ظنك إذا قال هذا العالم في قول أنه راجح، فاسأل هذا العالم، واعمل بما يُفتيك به، وإلا فعليك بالاحتياط، اللَّهمَّ إلا أن يشق عليك في شيء من الأشياء أنتحتاط مشقّةً صعب عليك احتمالها، فأرجو أن يسعك الأخذُ بالرّخصة إن شاء الله تعالى، أما العاميّ الذي لم يعرف في مسألة إلا قولاً واحدًا؛ فإنه يلزمه العمل به، ويسعه ذلك.

۞ انتقل بعد ذلك إلى مسألة الاجتهاد والتقليد وهي أيضا من المسائل الراجعة إلى أصول الفقه

والاجتهاد يعرف في اللغة بانه: بذل الوسع والمجهود.

قال تعالى: "وَالَّذِينَلَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ"بضم الجيم مأخوذ من الجُهد

وفي الاصطلاح اصطلاح الأصوليين هو: "بذل المجهود في العلم بأحكام الدين"يعني في تعلُّم أحكام الدين بذل المجهود في العلم بأحكام الدين أو بتعلم أحكام الدين هذا هو تعريف الاجتهاد وهو أن يبذل الناظر والباحث جهده ووسعه وطاقته للتوصل إلى ترجيح حكم شرعي على حكم آخر أو إلى استنباط حكم شرعي وهو له شروط بلا شك وهو ليس لكل أحد

لذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في إعلام الموقعين: "ولما كان التبليغ عن الله سبحانه وتعالى يعتمد على العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية

والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق فيكون عالما بما يبلغ صادقا فيه ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضي السيرة عدلا في أقواله وافعاله متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من أعلى المراتب السَّنِيَّات فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسماوات فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يُعِد له عدته وأن يتأهب له أُهبته وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به فإن الله ناصره وهاديه .... إلى أن قال: وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه" ينوب عن الله سبحانه وتعالى "وليوقن أنه مسؤول غداً بين يدي الله" انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

۞ فالفتوى شأنها عظيم والاجتهاد لا شك أنه كما ذكر الصنعاني رحمه الله تعالى في أدب الطلب، أنه في العصور المتأخرة أيسر منه في العصور التي سبقت وذلك لأنه كل ما تأخر العصر جمع العلم فالعلم قد جمع بخلاف أنه سابقاً كان العلم متفرق تحتاج إلى شيء لا تجده إلا عند فلان في بلد كذا, اليوم تجده في كتاب قد جمعت لك كثير من المسائل والمسائل التي قد اختلف فيها أهل العلم ولا شك أن هذا لا يكفي جمع تلك المسائل فإنه ما من مجتهد يحق له أن يجتهد إلا وقد أصاب حظ من آلة الاجتهاد ومن لم يكن عنده آله الاجتهاد من علوم اللغة ومن علوم الحديث بحسب ما يحتاج إليه أصول الفقه وغير ذلك فإنه ليس له أن يجتهد وأن يُسَمِّي نفسه مجتهداً وأن يبحث في المسائل أن يبحث في المسائل التي فيها اختلاف وخصوصا من لم يعرف الاختلاف أصلا

وقد صدق ابن المبارك رحمه الله تعالى حين قال: "من لم يعرف الاختلاف فلم يشم رائحة الفقه"

ومسألة أخرى وهي: أن الاجتهاد يتجزأ فقد تجد مجتهداً في أبواب من العلم أو في فن من فنون العلم ولكنه في غيره غير مجتهد فالاجتهاد يتجزأ كما هو الراجح من أقوال أهل العلم

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والاجتهاد ليس هو أمراً واحداً لا يقبل التجزؤ والانقسام بل قد يكون الرجل مجتهد في فن أو باب أو مسألة دون فن وباب ومسألة وكل أحد فاجتهاده بحسب وسعه".

۞ قال رحمه الله تعالى بعد ذلك: "ومن لم يكن كذلك، ووجد عالماً يثق بعلمه ودينه": يعني لم يكن من أهل الاجتهاد.

۞" وتحرِّيه الحق، وغلبت الإصابة في فهمه، وشدّة ورعه، واحتراسه في الهوى؛ بحيث يغلب على ظنك إذا قال هذا العالم في قول أنه راجح، فاسأل هذا العالم، واعمل بما يُفتيك به ":

الآن انتقل إلى مسألة أخرى وهي مسألة التقليد

۞ وهنا لابد من الإشارة إلى مسألة وهي: أن أهل العلم منهم من يقسم الناس إلى قسمين: مجتهد ومقلد.

۞ ومنهم من يقسمهم إلى ثلاثة أقسام: مجتهد ومتبع ومقلد.

هذا التقسيم مبني على الواقع وهو له حظ ونصيب أعني التقسيم الثاني وهو تقسيم الناس إلى مجتهد ومتبع ومقلد كما سيأتي بيانه.

عرفنا الاجتهاد فنُعرِّف التقليد فنقول:

❁ التقليد قيل هو في اللغة: من تقليد المرأة القلادة، إذا قلَّد الرجل المرأة القلادة فوضعها على عنقها ومنه تقليد البعير إذا وضع له الحبل في عنقه يُسمى تقليداً

❁ واصطلاحاً عند الأصوليين يُسمى: أخذ قول الغير بلا حُجَّة.

تأخذ قوله دون حُجَّة وهذا الفعل وهو أخذ قول الغير بلا حُجَّة له ضابط وهو أن ذلك مباح لمن لم يكن أهلا للتمييز بين الأدلة وكما أن الاجتهاد يتجزأ فكذلك التقليد يتجزأ فقد يكون مقلداً في باب دون باب وفي فن دون فن فقد يكون مقلداً مثلاً في الحديث من جهة الصحة والضعف فيقلد أحد علماء الحديث في التصحيح والتضعيف ولكن قد يخالفهم في الاستنباط في الحكم المستنبط من هذا الحديث فقد يستنبط ما لم يستنبطوه من هذا الحديث فالتقليد قد يتجزأ كذلك الاجتهاد قد يتجزأ

المتَّبع أو تعريف الاتباع: هو الأخذ بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه مع فهم الدليل وصلاحيته للترجيح صلاحية الدليل للترجيح وكذلك صلاحية المتبع بأن يرجح فالمتبع له مزية فوق مزية المقلد

لكن هل المتبع هو فقط الذي يأخذ بالدليل فقط هو هذا الذي يُعَرَّف عند الأصوليين أم أنه أكثر من ذلك؟:

يقول الشاطبي رحمه الله تعالى في: "الموافقات" عند بيانه للمراد بالمتبع قال:

"غير بالغ مبلغ المجتهدين لكنه يفهم الدليل وموقعه ويصلح فهمه للترجيح بالمرجحات المعتبرة فيه" انتهى كلامه رحمه الله

وهذا قاله رحمه الله تعالى حين قسم الناس الى: مجتهد ومقلد ومتبع، فعبارته هذه تدل على ان المتبع ليس هو الذي فقط يأخذ بالدليل فحسب بل هو اعلى من ذلك رتبة فالإنسان قد يأخذ بالدليل لكن مع ذلك يكون لازال في رتبة التقليد وقد يكون كذلك متبع في جهة دون جهة في مسألة دون أخرى في فن دون فن آخر والله اعلم.

وهنا مسألة أخرى متعلقة بالتقليد لمن يقلد مذهبا من المذاهب:

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى فيمن يقلد مذهبا من المذاهب: "ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه موقعا ومع هذا يقلده فيه ويترك من الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جمودا على تقليد إمامه بل يتحايل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ويتأوَّلهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلده" انتهى كلامه رحمه الله من قواعد الأحكام.

۞ وقد وصل الحال في بعض من تعصب للمذاهب إلى أنه قال أحدهم وكان متبعا لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله قال: "كل آية أو حديث خالف قول أبي حنيفة فهي إما منسوخة أو مرجوحة" أو بنحو هذه العبارة نسأل الله العفو والعافية هذا من الغلو في التعصب لائمة الدين والله اعلم.

۞ هنا قال في مسألة الاحتياط قال: "واعمل بما يُفتيك به، وإلا فعليك بالاحتياط" :

والاحتياط: المراد به أن تأخذ أبعد القولين عن الإثم، عندك قولين ما ترجح عندك أحدهما أيهما أصح فتأخذ أحوطهما أي أبعدهما عن الإثم

❁ وهذا له أصل وهو في قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"

❁ قال: "اللَّهمَّ إلا أن يشق عليك في شيء من الأشياء أن تحتاط مشقّةً يصعب عليك احتمالها": أحياناً قد يأخذ الإنسان بالأحوط لكن يرى لو انه اخذ بهذا الأحوط يشق عليه مشقة لا يستطيع احتمالها، وضابطها أنه: "لا يستطيع احتمالها"

وهذا المعروف عند الفقهاء بقاعدة: "المشقة تجلب التيسير" فقد يكون هنالك نوع من المشقة ما لا يحتمل معه الإنسان أخذ الاحتياط فيها فله أن يُيسر على نفسه دون أن يكون متبعا لهواه بل إنه ينظر في ذلك نظرة ورع وتقوى لله سبحانه وتعالى ويكون في ذلك ورعاً خائفا من الله سبحانه وتعالى مراقباً له

❁ قال يعني في هذه الحال: "فأرجو أن يسعك الأخذُ بالرّخصة إن شاء الله تعالى": إن كان الاحتياط يشق عليك.

❁ قال: "أما العاميّ الذي لم يعرف في مسألة إلا قولاً واحدًا؛ فإنه يلزمه العمل به، ويسعه ذلك": الذي لا يستطيع التمييز ولا يستطيع الترجيح وقد لا يفهم الأدلة فيكفيه أن يأخذ بقول عالم يثق فيه في ذلك والله اعلم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

المطلب السادس

في الأعمال التي يتطوّع بها

قد دخل في هذا الباب خلل كثير، فالواجب الاقتصار على ما يتحقق أنه ثابت شرعًا، من صلاة، أو صيام، أو غيرها، فقد جاء الشرع بالصلوات الخمس وغيرها مما هو ثابت بالسنن الصحيحة، ثم أَذِنَ الشارعُ بالصلاة في غير أوقات النهي على أنها نَفْل مطلق، فعلى المسلم أن يصلي الصلوات الثابتة شرعًا، ويدع الصلاة في أوقات النهي، ثم يعلم في ما عدا ذلك أن الصلاة مشروعة شرعًا مطلقًا، لا مزية لبعضه على بعض، ولا يلتفت إلى مزية لمثبت شرعًا، وهكذا سائر الصيام وسائر العبادات.

۞ هذا المطلب السادس الذي يتكلم فيه المصنف رحمه الله تعالى عن جانبين:

الجانب الأول: فيما يتعلق بالأعمال التي يتطوع بها

الجانب الثاني: الذي ذكره ضِمْنَاً وخَصَّه بشيء من التنبيه وهو ما يتعلق بالإحداث في الدين ذكر أمثلة على ما ورد في الشرع من الاعمال التي يتطوع بها وقال رحمه الله قبل ذلك:

۞ " فالواجب الاقتصار على ما يتحقق أنه ثابت شرعًا" وهذه قاعدة

تُعرَف عند أهل العلم بقاعدة: "العبادات توقيفية" أي الأصل فيها الوقوف على ما جاء به النص قال الله سبحانه وتعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا".

وقالت عائشة رضي الله عنها: "من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد" فالواجب على المؤمن أن يَتَّبِع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال ربنا سبحانه وتعالى: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" فالواجب الأخذ بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمن يضع نصب عينيه قول الحق تبارك وتعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" فالدين قد كَمُل والمؤمن يعتقد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بلغ أُمَّته كل ما يحتاجون إليه في أمور دينهم وما يقربهم إلى ربهم سبحانه وتعالى

حتى قال أبو ذر: "والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من طائر يُقلب جناحيه في السماء إلا وعندنا عِلم منه ولا ترك من شيء يقربنا إلى الله إلا وأخبرنا به" أو كما قال رضي الله عنه، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بَلَّغ عن الله سبحانه وتعالى كل ما يُحتاج إليه من أمر هذا الدين

ومما يُنبه عليه في هذا المقام: وهو شيء يذكر عَرَضَاً وهو فيما يتعلق بتفسير القرآن، تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى، فقد تكلم بعضهم في أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُفسر جميع القرآن

نقول: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فسَّر ما احتاجه الصحابة رضي الله عنهم في وقتهم ولم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً يُحتاج إليه لم يفسِّره ولكن ما فسَّره النبي صلى الله عليه وسلم علمه من علمه وجهله من جهله

وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية رحمه الله تعالى وفصَّل في هذه المسألة

وكذلك ابن كثير رحمه الله تعالى في مقدمة تفسيره إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بَلَّغ كل ما يُحتاج إليه من أمر هذا الدين ومن ذلك تفسير القرآن فليس لأحد أن يحتج بان النبي صلى الله عليه وسلم قد ترك شيء من القران

وكذلك ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فالأصل فيه انهم اخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في تفسير القران وأنهم لم يخترعوا في ذلك ولم يأتوا بشيء جديد مخترع من عندهم لم يأخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم.

۞ هنا ذكر أمثلة كما ذكرنا على الأعمال التي يتطوع بها فقال: " فقد جاء الشرع بالصلوات الخمس وغيرها مما هو ثابت بالسنن الصحيحة، ثم أَذِنَ الشارعُ بالصلاة في غير أوقات النهي على أنها نَفْل مطلق":

النفل: يراد به الأمر الزائد والنوافل هي العبادات الزائدة على الفرائض، تُسَمَّى نفلاً وقدتُسَمَّى سُنَّة وقد تُسَمَّى مندوباً أو ندباً أو تُسَمَّى أعمالا مندوباً إليها.

۞ قال: " فعلى المسلم أن يصلي الصلوات الثابتة شرعًا، ويدع الصلاة في أوقات النهي":

أوقات النهي هي الأوقات الخمسة:

الوقت الاول: بعد صلاة الفجر إلى حين طلوع الشمس.

الوقت الثاني: حين تكون الشمس بين قرني شيطان وهو من شروق الشمس إلى أن ترتفع مقدار رمح: طيب كله وقت نهي من بعد صلاة الفجر إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمح

لكن الفرق: الأول وقت نهي مُخفف والثاني وقت نهي مُغلظ لأنه كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: "تطلع بين قرني شيطان" كما في حديث عمرو بن عبسة في صحيح مسلم قال: "وحين إذٍ يسجد لها المشركون" فهو وقت نهي مُغلظ

الوقت الثالث: كما في السُّنن: حين يقوم قائم الظهيرة، قبل زوال الشمس بدقائق، قبل دخول وقت الظهر بدقائق، هذا أيضا وقت نهي وهو أشد ما يجد الناس من الحر في هذا اليوم والله اعلم.

الوقت الرابع: بعد صلاة العصر إلا ركعتين فيهما الخلاف بين أهل العلم ليس هو مقام التفصيل فيها والصحيح أنها ثابتة عن جمع من الصحابة حتى عن عمر الذي كان يَضرِب عليها

بعد صلاة العصر إلى أن تكون الشمس بين قرني شيطان، قبل غروب الشمس، هذا وقت وكذلك هناك وقت الاضطرار فمن جعل وقت النهي بعد صلاة العصر فأراد به غير الركعتين التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم وصلوها الصحابة رضي الله عنهم.

الوقت الخامس: حين تغرب الشمس، تغرب بين قرني شيطان كما ثبت في حديث عمرو بن عَبَسَة في صحيح مسلم والله اعلم.

۞ قال: " ثم يعلم في ما عدا ذلك أن الصلاة مشروعة شرعًا مطلقًا، لا مزية لبعضه على بعض، ولا يلتفت إلى مزية لمتثبت شرعًا، وهكذا سائر الصيام وسائر العبادات ": هنالك مزايا ثابتة شرعا للصلوات

مثلاً صلاة قيام الليل ليست كالنفل المطلق صلاة الضحى ليست كالنفل المطلق فإن كان مراد المصنف بالنسبة للنفل مطلقاً فلعل له وجه من أن ليس هنالك مزية من بعضها على بعض وأما إن كان مراده بالنفل كذلك ما نص عليه الشرع من أن له مزية فهذا فيه نظر من كلامه رحمه الله لأن المزية قد ثبتت شرعاً كما في صلاة الضحى، كما في أربع ركعات قبل الظهر، وبعد الظهر، أربع ركعات بعد العصر كذلك، صلاة قيام الليل، هذه كلها قد ثبتت فضيلتها ومزيتها في الشريعة.

قال المؤلف رحمه الله:

وقد تشاغل الناسُ بأحزاب وأوراد وأذكار زعم بعض الناس أن لها مزية، ولم يثبت ذلك شرعًا، فعلى المسلم أن يعتقد أن تلك المزية لا يعتد بها؛ لأنها غير ثابتة شرعًا وما لم يثبت شرعًا فليس من الدين في شيء؛ لأن الدين هو ما أنزله الله – عزَّوجلّ – على رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – فبلَّغه رسول الله – صلى الله عليه وسلم. – وتكفَّل الله – عزَّ وجلَّ –بحفظه، فحفظته الأمة حفظًا تقوم به الحجة، فما ليس كذلك، فليس من الدين في شيء فمن سوَّل له الشيطان أن يتشاغل بشيء من ذلك عن العبادات الشرعية، والأعمال النافعة، فقد خاب؛ فإن الشيطان يسعى بصرف الناس عن تلاوة القرآن والأذكار الثابتة شرعًا، كالصلاة الإبراهيمية على النبي – صلى الله عليه وسلم –،ونحوها، وعن أعمال الخير كالسعي في مصالح الأهل وغيرهم من المسلمين، والعمل في ما ينفع المسلمين، أو فيما ينفع العامل من الحلال . فهو يصرف الجهّال عن ذلك كله بما ليس من الدين في شيء ،حتى لا ينتفعوا في دينهم ولا دنياهم، بل يقعون في البدع المهلكة، والحاصل: أن كل عمل يعمله الإنسان راجيًا للثواب أو البركة إن كان ثابتًا شرعًا أنه مشروع يُرجى منه ذلك الثواب فهو حق وإلا فهو باطل وكثيرًا ما يقع الإنسان بعمله تلك الأعمال التي لم تثبت شرعًا في الشرك كما يعلم مما تقدم.

❁ تكلم رحمه الله تعالى هنا حول البدع

والبدعة في اللغة: هي الشيء المبتدأ والمخترع على غير مثالٍ سابق.

وأما في الشرع: فقد عَرَّفها ابن رجب رحمه الله تعالى في جامع العلوم والحِكم، قال: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدُل عليه. انتهى كلامه رحمه الله.

البدع: قد جاءت في الشرع كلها على سبيل الذم ولم تأتي البدعة بالمعنى الشرعي على سبيل المدح ولا في موضع واحد لم تأتي في سبيل واحد على سبيل المدح على المعنى الشرعي وكلها جاءت بالذم وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي فإنه من يَعِش منكم من بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، ثم قال: "وإياكم ومُحدثات الأمور" ما هي البدع؟: قال: "وإن كل مُحدثةٍ بدعة" فالبدعة هي كل أمر مُحدث في الدين والنبي صلى الله عليه وسلم لم قال: "وإياكم ومُحدثات الأمور" حذَّر من جميع المحدثات وقوله صلى الله عليه وسلم "مُحدثات الأمور" جاءت مُضافة فتدل على التحذير من جميع المحدثات، ثم قال: "وإن كل مُحدثة بدعة" ولفظ "كل" هي أصرح ألفاظ العموم عند الأصوليين وعند أهل اللغة، فلم يستثني النبي صلى الله عليه وسلم نوعاً من أنواع البدع من هذا الحكم الذي حكم عليه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ضلالة

۞ ولذلك يقول ابن رجب رحمه الله تعالى في جامع العلوم والحكم: "ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية"

۞ كما جاء في قول عمر لما جمعهم على إمام واحد قال: "نعمة البدعة هي" وقد جمعهم على إمام واحد، كانوا يصلون متفرقين وهذا المراد فيها البدعة للغوية لا الشرعية وذلك ان الصحابة كانوا يصلون خلف النبي صلى الله عليه وسلم قيام

رمضان فعمر لم يُحدِث شيئا جديداً في دين الله سبحانه وتعالى ولم يُحدِث أمراً مخترعاً في دين الله سبحانه وتعالى بل هي أمر جديد لأنهم ما كانوا يصلون على هذه

الطريقة بعد أن انقطع عنهم النبي صلى الله عليه وسلم عن قيام الليل كانوا يصلون متفرقين إلى أن جمعهم عمر رضي الله عنه على إمام واحد

ولذلك ثبت عن ابن عمر كما عند الدارمي وغيره أنه قال:

"كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة" وهذه قاعدة عظيمة تعلم من ذلك خطأ من يقول أن في الدين بدعة حسنة وهو منسوب إلى بعض الشافعية والشافعي رحمه الله تعالى له كتاب في ذم الاستحسان وثبت عنه رحمه الله تعالى أنه قال: "من استحسن فقد شَرَع" أي أنه شرع أمراً مُحدثاً في الدين هذا ثابت عنه رضي الله عنه

ويكفي في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:

"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" فكل ما هو ليس من أمر النبي صلى الله عليه وسلم فهو مردود على صاحبه غير مقبول

❁ ثم أشار إلى مسألة أخرى فقال: "فمن سوَّل له الشيطان أن يتشاغل بشيء من ذلك عن العبادات الشرعية، والأعمال النافعة، فقد خاب؛ فإن الشيطان يسعى بصرف الناس عن تلاوة القرآن والأذكار الثابتة شرعًا، كالصلاة الإبراهيمية على النبي – صلى الله عليه وسلم –،ونحوها، وعن أعمال الخير كالسعي في مصالح الأهل وغيرهم من المسلمين، والعمل في ما ينفع المسلمين، أو فيما ينفع العامل من الحلال . فهو يصرف الجهّال عن ذلك كله بما ليس من الدين في شيء ،حتى لا ينتفعوا في دينهم ولا دنياهم، بل يقعون في البدع المهلكة: الشيطان يشغل الناس بهذه البدع وهذه الأمور المحدثة يُشغلهم بها حتى عن الأمور الثابتة شرعاً

❁ ولذلك لو سألت من أحدث في دين الله سبحانه وتعالى أمراً لو سألته هل انتهيت مما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تأتي بأمر زائد عما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم؟: يقولك لا

❁ فتسأله وتقول هل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم كافٍ أو لا؟: يقول لك نعم.

❁ فهل ما كان كافياً يكون هناك حاجة إلى الزيادة عليه

استمع بعد ذلك إلى ما يقوله من التأويلات والتعليلات التي تناقض ما أجاب به سابقا ولا شك أن ما جاء عن الرسول كافٍ ولا يحتاج الانسان إلى أن يزيد وإلى أن يغلو في دين الله سبحانه وتعالى وإلى أن يتنطَّع في دين الله سبحانه وتعالى ويستحسن أشياء لم تأتي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

❁ و من العجب أن يقال أن من انكر البدع فهو متشدد هذا من العجب، بل التشدد والغلو هو أن تزيد في الدين هذا من الغلو هذا من التشدد تزيد في دين الله أمراً لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم هذا هو التشدد هذا هو الغلو

❁ الرسول صلى الله عليه وسلم قال لك افعل هذا وأنت تقول لا أنا أفعل كذا وكذا

الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لك هذا كافي لدخولك الجنة وأنت تقول لا أنا سأفعل كذا وكذا وكذا حتى أدخل الجنة

"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"

❁ قال: والحاصل: أن كل عمل يعمله الإنسان راجيًا للثواب أو البركة إن كان ثابتًا شرعًا أنه مشروع يُرجى منه ذلك الثواب فهو حق وإلا فهو باطل وكثيرًا ما يقع الإنسان بعمله تلك الأعمال التي لم تثبت شرعًا في الشرك كما يعلم مما تقدم: وهذه ضريبة الجهل والانشغال عن كتاب الله وعن سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك من البدع التي أُحدِثت فيما سبق ما أحدثه قوم نوح عليه الصلاة والسلام قبل أن يُبعث فيهم فأحدثوا بدعة تعظيم الأولياء الصالحين ولما مات أولئك الصالحين اعتكفوا عند قبورهم ثم بعد أن اعتكفوا عند قبورهم نصبوا على قبورهم أصناماً فعبدوها والبدعة كما ذكر البربهاري رحمه الله تعالى وغيره من أئمة السنة أن البدعة أول ما تبدأ تكون صغيره ثم ما تلبث أن تعظم ويتوسع فيها صاحبها إلى أن يقع فيما قد يخرجه من الدين الله سبحانه وتعالى والعياذ بالله سبحانه وتعالى والله اعلى واعلم.

أسئلة:

س: ما حكم القيام بعبادة معيَّنة بحجة أنها مُجربة ونافعة مثلاً تقرأ سورة الضحى حتى تحصل على شيء مفقود وكذلك آيات الأدعية للرقية الشرعية؟

ج: بالنسبة التجربة ما تنفع في شيء لذلك قد ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الاستقامة أن مما لبس به الشيطان على كثير ممن تعلق بالقبور ونحو ذلك أنه يذهب إلى تلك القبور ويستغيث فيجد من تلك الاستغاثات والدعاء يجد حصول بعض ما يريد وهذا من الفتنة في الدين ومن الابتلاء وهذا من تلبيس الشياطين عليه ولذلك نقول يا إخوة ما يصلح أن يكون الدين للتجارب بل يكون بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" .

س: هل كلمة لا إله إلا الله تنفع صاحبها وإن كان غارقاً بالمعاصي والكبائر ومات على الكبيرة؟

ج: لا شك أنها تنفع قد جاء في حديث أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له يكون أقوام لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا صدقة قال وما تنفعهم لا إله إلا الله؟ قال تنفعهم لا إله إلا الله ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، وهذا لا شك المراد به من جاء بأحكامها وشروطها فإنها تنفع بلا شك لا إله إلا الله تنفع حتى لو كان الانسان غارق في المعاصي والذنوب والكبائر لكن هل تكون منجية له من عذاب النار هذه مسألة أخرى فقد يدخل النار ثم يخرج لكنه لا يكون من أهل الخلود في نار جهنم على تفصيل آخر يتعلق بمسألة ترك العمل بالكلية.

س: هل يجوز للمراة الجلوس في المسجد اذا كانت حائض؟

ج: لا بأس بجلوس المرأة في المسجد على الراجح من أقوال أهل العلم إذا كانت حائض لا بأس في جلوسها لسماع درس في المسجد ولا يوجد دليل صريح في منعها من دخول المسجد حديث عائشة رضي الله عنها لما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت لم يمنعها النبي صلى الله عليه وسلم من دخول المسجد وجاء في حديث آخر "إن حيضتك ليست في يدك" والعلة في ذلك هي عدم تنجيس المكان والله اعلم.

الدرس الرابع:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره وسار على سُنَّته إلى يوم الدين هذا المجلس الرابع والأخير بحول الله عز وجل وتيسيره وتوفيقه في هذه الوصية النافعة المباركة وصية العلامة عبد الرحمن المعلمي رحمه الله تعالى لتلميذه وانتهينا البارحة من المطلب السادس ووصلنا إلى المطلب السابع بحول الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

المطلب السابع

في مخاطبة الناس

يجب على المسلم أن يميِّز بين ما أمر الله به أو أذن فيه، وبينما نهى عنه أو كرهه، فيلزم الأول على كلِّ حال، ويجتنب الثاني على كل حال، ويحتاط في ما لم يتبيَّن له حُكْمه، وعليك أن توطِّن نفسَك على حبّ الخير للخلق أجمعين، حتى إذا كرهت كافرًا أو مبتدعًا أو فاسقًا فلا تكرهه إلا لأنك تحب له أن يدع ما يضره، ويلتزم ما ينفعه، وهذا زمان قد صِرْنا فيه أو كدنا إلى ما ورد في الحديث: "شُحٌّ مُطاع، وهوًى مُتبع، وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه" فأحب لك أن تجتنب المخاصمات التي لا ترجو لها فائدة.

❁ هذا المطلب السابع الذي ذكره رحمه الله تعالى في مخاطبة الناس سواء كان في جانب الدعوة أو كان في جانب المحاجة فيما يتعلق ببيان ما أوجبه الله سبحانه

وتعالى من الإتباع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن علامات صدق الداعية إلى الله سبحانه وتعالى أن يكون رحيماً بالمدعوين وأن تكون غايته من هذا البلاغ تحقيق أمرين:

الأمر الأول: الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى الذي أمر بالبلاغ بهذا الدين فقال سبحانه وتعالى:"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" فسبيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسبيل أتباعه أنهم يدعون إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرة فهذا هو الأمر الأول.

أما الأمر الثاني: فهو دعوة الناس إلى الحق وإلى طريق الحق وهذا مطلب عظيم فليست الغاية من أن تبلغ هذا الدين هو البلاغ نفسه فحسب بل الغاية هي هداية الناس رغم أن هذه الغاية قد تتحقق وقد لا تتحقق ولكن الواجب أن تبذل أسبابها وأن تكون سائراً على طريق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فليس المطلب هو كما يتوهمه كثيراً ممن لم يتحلى بحلل الإيمان على الطريق الصحيح الحكم على الناس بالكفر أو الزندقة أو غير ذلك وإن كان هذا من الدين بلا شك وهذا مطلب شرعي بلا شك ولكن أن تكون هذه هي في نفسها غياية دون النظر إلى أن المطلب الأسمى هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور ودعوتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الله سبحانه وتعالى وصف نفسه كما جاء على لسان يعقوب "وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" ووصف رسوله فقال فيه "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" وقال سبحانه وتعالى "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" وهذا هو الحال في التعامل مع جميع الخلق وإن كان كل حال قد يقتضي حال آخر من المعاملة لكن الأصل في التعامل هو أن يكون في القلب نوع

رحمة للمدعوين وأن يكون القلب مريداً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وهذا ينسحب بلا شك على جميع التعاملات حتى وإن كان في التعامل نوع غلظة على المدعو إذا احتاج الداعي إلى ذلك فما لم تنفع المجادلة بالتي هي أحسن فقد ينتقل الانسان إلى ما هو أشد وأغلظ في التعامل وكلن بحسب الحال وحتى في هذا يكون المقصد الرحمة سواء كانت الرحمة مقصداً لهذا المدعو أو كانت الرحمة مقصدة لغيره كما هو الحال في التعامل مع أهل البدع وأئمة البدع في التحذير منهم وبيان ضلالهم وانحرافهم وأنهم أصحاب فتنة وإضلال للناس عن الدين فليس هذا لأجل أمر شخصي بينك وبين هذا المدعو ولا لأجل شخصه ولا لأجل ذاته بل هي ديانة لله سبحانه وتعالى فيما تتكلم فيه.

ومسألة أخرى: وهي الإسلام لم يأتي بمقصد هلاك الكفار ولا بمقصد إهلاكهم بل جاء مخرجا للناس من الظلمات إلى النور كما ذكرناه وإلى هدايتهم لهذا الدين وهذا شامل في التعامل مع كل أحد مع جميع الخلق ولا شك إن كان يخرج من هذا المحاربون شأنهم شأن آخر وهذا ليس خاصاً بالكفار فقط بل حتى من اعتدى وبغى على المسلمين فإنه يكون له حظ من الدفع بالمحاربة إن كان لا يندفع إلا بذلك فهذا ليس فقط خاصاً بالكفار والإسلام لم يأتي أولا بطلب محاربتهم بل جاء الإسلام أولا بقصد دعوتهم ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغزو كان ينتظر حتى يسمع الأذان وكان قبل الغزو يرسل النبي صلى الله عليه وسلم من يدعوهم فلعلهم يستجيبون ثم يتدرج معهم صلوات الله وسلامه عليه إن لم تكن ثمَّ استجابة فلا يمنعونهم من تبليغ دين الله سبحانه وتعالى وإذا فُتحت الأرض فإنها تكون عليهم الجزية ولا تكون المحاربة فانظر إلى هذا التدرج وهذا التسلسل الذي جعل محاربتهم إلى آخر ما يطلب إذا كان في ذلك نوع لمنع بلاغ دين الله

سبحانه وتعالى الله سبحانه وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: "فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" أي مُهلك نفسك وقاتل نفسك حُزناً على عدم إيمانهم بهذا الدين وهذا الحزن الذي قد يقوم في قلب الداعي إلى الله سبحانه وتعالى هو حزن لأنه أحب الله سبحانه وتعالى فعمل بما أمر الله عز وجل وأراد غيره أن يعمل بما أمره الله سبحانه وتعالى به وتأمل كيف أن الله سبحانه وتعالى قد خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه يهلك نفسه لأجل إيمانهم ولأجل دخولهم في دين الإسلام وهذا من محبة النبي صلى الله عليه وسلم للخير ولبلاغ هذا الدين وكذلك كل من دعا إلى الله عز وجل لابد أن يكون له حظ ونصيب مما كان عليه النبي صلوات الله وسلامه عليه.

والمسألة التي تليها: فيما يتعلق بالولاء والبراء، جاء الدين بالولاء لأهل الإيمان ولأهل الطاعة والبراء من أهل الطغيان وأهل الكفر وأهل النفاق وأهل الضلال وأهل البدع وكلن منهم بحسب ما قام عنده من الإيمان فلا يعامل العاصي كما يعامل المبتدع ولا يعامل المبتدع كما يعامل الكافر أو المنافق هذا ما جاء به الدين بل كلن منهم يكون له من المحبة والولاء والموالاة بقدر ما عنده من الدين وبقدر ما يكون عنده من اتباع أمر الله سبحانه وتعالى واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أما البراء المطلق فهو البراء ممن حآد هذا الدين وخرج عن دين الإسلام أو لم يدخل فيه ولكن هذا لا يعني أيضا أن يكون هذا البراء داخلاً فيه سوء معاملة

الله سبحانه وتعالى يقول: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"

فالله أمر بأمرين:

- ۞ أمر الله سبحانه وتعالى بالبرِّ والبر اسم جامع لجميع أبواب الخير فأمر الله سبحانه وتعالى بالبر
- ۞ وأمر الله سبحانه وتعالى كذلك بالقسط والعدل وأن نكون عادلين فيهم وقد قال الله سبحانه وتعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"فالمؤمن عدل في حُكمه برُّفي تعامله ما لم يكن في ذلك حيف أو جور ممن كان قد تعامل معه والله اعلم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وإن مما هو من جهةٍ نعمةٌ عظيمةٌ من الله – تبارك وتعالى– على هذه الأمة، ومن جهةٍ أخرى حُجةٌ بالغة له سبحانه: أن كانت عامة المحدَثات التي نقول : إنها بدع ضالة، ومنها ما هو شرك بالله –عزَّ وجلَّ– ليس فيها ما يقول أحدٌ: إنه ركن، أو شرط للإيمان، ولا فرض لازم، ولا سنة مؤكدة؛ بل غاية ما يزعم بعضهم : أنه مما يُرجى له ثواب وبركة وقد قال مَن هو أعلم من هذا بكتاب الله –عزَّ وجلَّ– وسنة رسوله وأقوال سلف الأمة : إن ذلك بدعة مضلة، ومنه ما هو شرك، ومع هذا فهناك أعمال كثيرة ثابت أنها مشروعة، وأن ثوابها أعظم، وبركتها جليلة، ودلَّ الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها على ذلك ؛ فالمخذول كل الخذلان، والمحروم كل الحرمان، والخارج عن طريق العلم والإيمان والعقل والفهم هو مَن يُقْدِم على شيء من تلك المحدَثات، ويتشاغل بها، في حين أنه يمكنه صرف ذلك الوقت في الأعمال والأقوال الشرعية الثابتة، والثابتِ عظيمُ ثوابها وبركتها.

۞ ثم انتقل إلى مسألة أخرى تتعلق بالمحدثات وإن كُنَّا قد أشرنا إليها البارحة

۞ قال: وإن مما هو من جهةٍ نعمةٌ عظيمةٌ من الله – تبارك وتعالى– على هذه الأمة، ومن جهةٍ أخرى حُجةٌ بالغة له سبحانه: هي نعمة من الله عز وجل وهي حُجَّة بالغة من الله سبحانه وتعالى، ماهي تلك النعمة وما هي تلك الحُجَّة؟:

۞ قال : أن كانت عامة المحدَثات التي نقول : إنها بدع ضالة، ومنها ما هو شرك بالله –عزَّ وجلَّ–: ما بها؟:

۞ قال: ليس فيها ما يقول أحدٌ: إنه ركن، أو شرط للإيمان، ولا فرض لازم، ولا سنة مؤكدة؛ وهذا من تمام الدين الذي قال فيه ربنا:"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"فتأتي إلى من أحدث في دين الله سبحانه وتعالى وزاد فيه ما ليس منه وغَلا وتنطَّع فتسأله هذا الذي زدته في دين الله سبحانه وتعالى أهو ركن في الإيمان؟ قطعاً سيقول لك، لا، أهو شرط فيه؟ سيقول لك، لا، أهو لازم فرض قد فرضه الله سبحانه وتعالى أو فرضه رسوله؟ سيقول لك، لا، هل هو سنة مؤكدة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ سيقول لك، لا، فما دام أنه ليس من هذا كله فهذا راجع إلى النعمة بتمام الدين وكماله وكذلك حُجة بالغة من الله سبحانه وتعالى أن هذا الفعل لا هو من أركان الدين ولا من شرائطه ولا من لوازمه ولا من سنن هذا الدين التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

۞ قال: بل غاية ما يزعم بعضهم : أنه مما يُرجى له ثواب وبركة: يرجى لمن فعل هذه البدع وهذه المحدثات يرجى له الثواب هذا غاية ما قد يذكره من يتشبث بزيادة هذه المحدثات في دين الله سبحانه وتعالى.

❁ قال: وقد قال مَن هو أعلم من هذا بكتاب الله –عزَّ وجلَّ– وسنة رسوله وأقوال سلف الأمة : إن ذلك بدعة مضلة، ومنه ما هو شرك :يعني من هو أعلم بكتاب الله يعني أهل السنة الذين لم يحرفوا ولم يبدلوا ولم يزيدوا في كتاب الله سبحانه وتعالى ما ليس منه

فالبدع: قد تكون بدع مُفسِّقة وقد تكون بدع مُكفِّرة، بدع كفرية او شركية،

من البدع المفسِّقة مثلاً: العبادات التي تُزاد في الدين كمن يحدث صلاة معينة في يوم معين أو في موسم معين هذه من البدع التي هي لا تخرج من الملة لكنها بدعة ضلالة محدثة في دين الله سبحانه وتعالى لم تأتي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما البدع الكفرية والشركية

فمن ذلك على سبيل المثال: دعاء غير الله سبحانه وتعالى والاستغاثة بغير الله عز وجل ونداء غير الله سبحانه وتعالى كما يصنعه كثير ممن ينتسب للدين ويقوم عند قبور الأولياء والصالحين عملاً بما قد كان عمله قوم نوح عليه الصلاة والسلام حين عكفوا على قبور الصالحين وعظموهم ثم نصبوا على قبورهم ما نصبوه من الأصنام والأوثان

ولذا كما قال أهل العلم أن أول ما حدث في هذه الأُمة من الشرك كان سببه الغلو في الصالحين واعتقاد كثير ممن ينتسب إلى الإسلام وإلى شريعة الله سبحانه وتعالى صحة تلك البدع الشركية أو الكفرية

وتأمل على سبيل المثال في القصيدة المعروفة بالبردة التي يقول فيها قائل:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العممِ.

يقول مالي سواك من ألوذ به، واللياذ هي الاستعاذة والعبد يستعيذ بالله عز وجل وحده لا يستعيذ بمخلوق بل يستعيذ بالخالق ولو كان هذا المخلوق هو من الأنبياء ولو كان من الأولياء ولو كان من الصالحين فكلن له مرتبته

وقال أيضا:

إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي عفواًوإلا فقل يا زلة القدمِ

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلمِ

إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي: إذا ما أخذت بيدي يوم القيامة وعفوت عني يوم القيامة وإلا فقل يا زلة القدمِ، من الذي يدخل الناس النار ويدخل الناس الجنة؟ الله سبحانه وتعالى

من الذي يعفو ويغفر؟ الله سبحانه وتعالى من الذي يحاسب؟ الله سبحانه وتعالى ليس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرم به من رسول

فإن من جودك الدنيا وضرتها، يعني جود النبي صلى الله عليه وسلم على الناس أنه جاد عليهم بهذه الدنيا، ومن خالق هذه الدنيا؟ ومن الذي جاء بهذه الدنيا؟ الله سبحانه وتعالى، وضرتها يعني الآخرة، من الذي خلق الآخرة وأوجد الآخرة؟ الله سبحانه وتعالى، ومن علومك علم اللوح والقلمِ، علم اللوح والقلم ما هو؟ مر معنا في مجلس قبل البارحة الله سبحانه وتعالى عَلِم فأمر القلم أن يكتب ما هو كائن إلى

يوم القيامة، هذا علم الله سبحانه وتعالى فكيف يقال أن هنالك أحد من المخلوقات من علومه علم اللوح والقلمثم قال:

لو ناسبت قدره آياته عِظما أحيا اسمه حين يدعا دارس اللممِ

كيف إذا ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم يحي الميت والله سبحانه وتعالى وهو الذي يُحيي ويميت

هذا نوع من أنواع الغلو والتنطُّع في دين الله سبحانه وتعالى والغلو مرفوض

ومذموم ولو كان هذا الغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك نفسه القائل يقول:

دع ما ادعته النصارى في نبيِّهمُ وقل ما شئت فيه واحتكمِ

فقط لا تقل أنه ابن الله وقل بعد ذلك ما شئت، هذا ما يصلح هذا كله من الغلو نسال الله العفو والعافية.

قال المؤلف رحمه الله:

وإذا أجمع الأطباء على شيء أنه دواء نافع، واختلفوا في شيء فقال بعضهم: إنه مهم، وقال بعضهم : ضارٌّ ضررًا شديدًا، وقال بعضهم: لا يتحقَّق ضرره، وقال بعضهم: ربما يكون له نفع ما، ولكنه لا حاجة إليه للاستغناء عنه بالمجمع عليه فالعاقل يستغني بالمجمع عليه، ويتجنب المختلف فيه، وقد قال الله – تبارك وتعالى: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ" وفي الصحيح عن النبي– صلى الله عليه وسلم : "الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لعقله ودينه، ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعيي رعى حول الحِمَى يوشكُ أن يقع فيه" هذا في الحلال والحرام، فأما في الإيمان والشرك فالأمر أعظم، وكلُّ عاقل يبلغه كلام أهل العلم، لا بد أن يكون محتملاً عنده، وعلى الأقل في كثير من تلك المحْدَثات أنها شرك، كما صرَّح به جَمع من أكابر العلماء، والمؤمن لا يمكن أن يقدم على ما يحتمل عنده أنه شرك، هذا مع أنه ليس في الإقدام عليه لذة طبيعية، إلا أن يكون اتباع الهوى، فإن الراغب في الثواب والبركة يجد ما هو باعتراف ألدِّ أنصار المحدَثات أعظم أجرًا وبركة، فل وسألت أحدهم عن الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – بالصيغة الإبراهيمية المأثورة، أهي أفضل أم قول القائل " : يا رسول الله " ؟ لاعترف لك بأن البَونَ بعيد جدا فإن فضل تلك الصلاة وثوابها وبركتها عظيم جدا، وأما قول: "يارسولالله" ، فغايته أن يدَّعي بعضُ أنصار البدع أنه لا بأس به، وقِسْ على هذا سائر المحدثات، فإذا بيَّنتَ هذا المعنى لرجل وأصرَّ على ترك اجتناب المحدَثات فقد قُمتَ بالحجة، وإذا اجتنبتَ المحدثات فاعترض عليك معترض فبيَّنْتَ له هذا المعنى، فقد أَبطلْتَ اعتراضَه ولزمه التسليم لك إن كان له عقل ولا حاجة بك بعد هذا إلى المحاجّة في تلك المحْدَثات أَشِركٌ هي أم لا، ولا إلى سَرْد الحجج وإبطال الشبه؛ بل يكفيك الاستناد إلى ما تقدم.

۞ هنا ذكر مسألة راجعة إلى ما ذكره من أن هذه المحدثات التي زيدت في دين الله سبحانه وتعالى ليست هي ركنا في الدين ولا شرطاً فيه ولا لازماً من لوازمه ولا هي سُنَّة مؤكدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي إن لم تكن كذلك واختلف الناس فيها فمنهم من يمنع منها ويقول لك لا تفعلها ومنهم من يقول لك افعلها قد يُرجى منها الثواب، فقائل يقول لك لا تفعلها، وقائل يقول لك قد يرجى منها الثواب وقائل يقول لك فيها ثواب فهنالك اختلاف وتنازع في هذا الفعل كذلك الدواء ۞ قال:وإذا أجمع الأطباء على شيء أنه دواء نافع، واختلفوا في شيء:يعني في دواء آخر، عندك دواءين الأول اتفقوا على أنه نافع والثاني اختلفوا منهم من قال هو دواء نافع ومنهم من قال ضار ضرر شديد وقال بعضهم لا يتحقق ضرره وقال بعضهم ربما يكون له نفعٌ ما، اختلفوا فيه العاقل أي الدواءين يستعمل الأول أم الثاني؟ الأول بلا شك وكذلك مثل على مثل ذلك لو كان عندك ماء شرب صافٍ ليس فيه أي كدر وعندك ماء آخر فيه كدر فأيهما تستعمل أيهما تشرب؟ الصافي، الآخر لا تعرف ما الذي فيه الأول تعرف أنه صافي الثاني ما تدري هل إذا شربته يضرك أم لا يضرك؟ ما تدري لكن الأول يقينا لا يضرك بل تنتفع منه كذلك هذا الدواء إذا كان أحد الدواءين نافعاً يقينا والآخر قد يكون ضاراً ومنهم من يقول بل هو ضار ومنهم من يقول بل هو نافع واختلفوا فيه فتركك له أولى بما أنه عندك ما فيه الغنية ولماذا تلجأ إلى أمر قد يكون فيه نوع من الكدر والغبش وأنت عندك الصافي الذي لا تحتاج معه إلى غيره فعندك الدين الصافي الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ابلغ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يحتاج إليه الناس ولم يترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً يحتاجه الناس لم يبلغهم إياه والسؤال كما قلنا البارحة لو سألت أحدهم وقلت له: الذي جاء عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفي أو لا يكفي؟ لو أن الإنسان عبد الله كما عبده الرسول صلى الله عليه وسلم يكفيه؟ يكفيه بلا شك بل إننا نقول لو عبده كما عبده الصحابة رضي الله عنهم يكفيه رضي الله عنهم وأرضاهم فما تحتاج أنت إلى أن تضيف في هذا الدين أشياء وأن تزيد فيه أشياء وأن تتنطع فيه وأن تغلو فيه ما تحتاج إلى هذا كله الذي جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم كافيك ويكفيك ما تحتاج إلى زيادات على ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

❁ ثم قال: وفي الصحيح عن النبي –صلى الله عليه وسلم "الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور متشابهات" الأول بين والثاني مشتبه فأيهما تأخذ به أيهما تلزمه ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : "الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لعقله ودينه، ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعيي رعى حول الحِمَى يوشكُ أن يقع فيه".

❁ قال رحمه الله: والمؤمن لا يمكن أن يقدم على ما يحتمل عنده أنه شرك، هذا مع أنه ليس في الإقدام عليه لذة طبيعية، إلا أن يكون اتباع الهوى، فإن الراغب في الثواب والبركة يجد ما هو باعتراف ألدِّ أنصار المحدَثات أعظم أجرًا وبركة: الذي يقدم على ما جاء عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجد من اللذة والأُنس بالله وزوال الوحشة والبركة وحصول الخير ما لا يجده من يعمل بتلك المحدثات والبدع التي ليست من دين الله سبحانه وتعالى في شيء كيف يوازى بين ما أنزله الله سبحانه وتعالى وبين ما اخترعه البشر من عند أنفسهم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى هو نازل من عند حكيم عليم، عليم بما يصلح للناس وبما يصلح الناس وبما هو صالح لهم في دنياهم وفي آخرتهم، حكيم سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة وله الحكم وإليه يرجع الحكم سبحانه فكيف يوازى بين من جاء من عند

الحكيم العليم وبين ما اخترعه البشر الذين يتفاوتون في عقولهم وفي مداركهم وفي مفاهيمهم وفي أعمالهم وحتى في قيامهم بما اخترعوه وقد قال الله سبحانه وتعالى في النصارى:"وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا" هم اخترعوها من عند أنفسهم ومع ذلك ما رعوها حق رعايتها لكن الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى يقوم به العبد وقلبه منشرح لما جاء من عند الله سبحانه وتعالى لأن الله سبحانه وتعالى يبارك في هذه الاعمال.

❁ هنا ذكر مسألة قال: فإذا بيَّنتَ هذا المعنى لرجل وأصرَّ على ترك اجتناب المحدَثات فقد قُمتَ بالحجة، وإذا اجتنبتَ المحدثات فاعترض عليك معترض فبيَّنْتَ له هذا المعنى، فقد أَبطلْتَ اعتراضَه ولزمه التسليم لك: هذا الذي ذكره رحمه الله هو جواب مختصر يصلح لجميع البدع والمحدثات التي زيدت في دين الله سبحانه وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

ولا بأس بعد ذلك أن تقول لمن نازعك: ليس عندي من العلم ما أتمكَّن به من المناظرة والمحاجّة، ولكنني أعلم أن الواجب على الناس ترك المحدثات، فإن لم يستغنوا ببطلانها وأن منها ما هو شرك، فإنهم يعرفون من اختلاف العلماء احتمال ذلك:

❁ يقول ولكنني أعلم أن الواجب على الناس ترك المحدثات: لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" فهو يعلم هذا من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال المؤلف رحمه الله:

فوجَب عليهم اجتناب ما يخافون أن يكون شركًا، وقد علموا أنه – على فرض صحة ما يزعم أنصار البدع – لا حاجة إليه، فإن في العبادات الشرعية العظيمة الأجر والثواب والبركة ما يغني عنه، ولا ينبغي لعاقل أن يدَعَ ما عُلم بالإجماع والنصوص القاطعة أنه إيمان، ويتشاغل بما يحتمل على الأقل أن يكون شركًا.

❁ نعم لأن هذا من تمام العقل شيء تعلم أن فيه بركة وأن فيه هداية من الله سبحانه وتعالى شيء أنزله الحكيم العليم سبحانه وشيء اخترعه البشر كيف تتشاغل بهذا الذي اخترعه البشر وتترك ما أنزله الحكيم العليم وتتشاغل بهذا عن ذاك هذا من قصور العقل نسأل الله العفو والعافية.

قال المؤلف رحمه الله:

المطلب الثامن

في مصالح الدنيا ومعاملة الناس

مادام الإنسان في الدنيا فإنه لا غنى به عن تحصيل المال وإصلاح المعيشة، والسعيد مَن أمكنه تحصيل ذلك بكدّ يمينه وعرق جبينه، بدون احتياج إلى إحسان أحدٍ ولا إضرارٍ بأحد، وإذا أمكنه هذا فقد قارب أن يسلم من الناس، فأما الدين، فينبغي للإنسان أن يكون مُؤْثِرًا لله – عزَّ وجلَّ –على كل شيء، ويحرص على أن يفهِم الناس أنه إنما يريد لهم الخير، وأنه لا يريد علوا في الأرض ولا فسادًا، ولا فخرًا ولا شهرة، ولا غير ذلك من الأغراض، وإنما همُّه طاعة الله – عزَّ وجلَّ–، ثم أن ينصفه الناس فلا يظلموه، ولا يحتقروه، وعليه أن يسعى في مصالح دنياه بالجد والصبر والمثابرة في حدود الحلال، وليعلم مع ذلك أن الأمر كله لله – عزَّ وجلَّ.

❁ نعم هذا المطلب الثامن في مصالح الدنيا ومعاملة الناس، ما يبتغيه الانسان من مصالح الدنيا وقيامه بمصالح دنياه وشؤونه وشؤون أهل بيته وأولاده وعياله ووالديه وإخوته وإخواته وأقاربه إلى غير ذلك ومن ذلك طلب الرزق والمؤمن يطلب الرزق من الله سبحانه وتعالى مع صدق التوكل على الله عز وجل عملاً بالأسباب ولا يتواكل بل يتوكَّل على الله سبحانه وتعالى فإن التوكُّل هو الاعتماد على الله مع العمل بالأسباب وترك الالتفات إليها هكذا عرفه أهل العلم التوكُّل على الله مع العمل بالأسباب وترك الالتفات إليها فهو يعتمد على الله سبحانه وتعالى ويتوكل على الله سبحانه وتعالى ويعمل بالأسباب التي توصله إلى المطلوب ثم إنه إذا عمل بالأسباب فإن قلبه لا يتعلق بتلك الأسباب بل يتعلق بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى ولذا قال أهل العلم: من عمل بالأسباب ثم تعلق بتلك الأسباب فإن عنده نوع شرك وهو شرك أصغر نسأل الله العفو والعافية بل العبد يتعلق

بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى ولا يعلق قلبه بالأسباب والله سبحانه وتعالى قادر على أن يرزق عباده من غير كدٍّ ولا كسب ولا تعب ولا عمل بالأسباب الله قادر على ذلك ولكنه سبحانه وتعالى يربيهم ويعلمهم سبحانه وتعالى وتأمل فيما قاله الله سبحانه وتعالى لمريم عليها الصلاة والسلام: "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا"كان قادر سبحانه وتعالى أن ينزل الرطب عليها دون أن تهز جذع النخل ولكنه سبحانه وتعالى وهي في مثل هذا الحال الذي تنازع فيه آلام الوضع الله سبحانه وتعالى قادر وخصوصا في مثل حالها عليها الصلاة والسلام وقد كان يأتيها طعام كما جاء ذلك في سورة آل عمران ذكره ربنا سبحانه وتعالى

قال تعالى:"كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" قالت هو من عند

الله، الله سبحانه وتعالى قادر على أن يرزقها ولكنه تربية وتعليم من الله سبحانه وتعالى وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً" إذا صدق الانسان بالتوكل مع العمل بالأسباب لذلك قال صلى الله عليه وسلم تغدوا وتروح فهناك عمل هنالك فعل هنالك أخذ بالأسباب تغدوا خماصاً وتروح بطاناً يعني ترجع والبطن ممتلئ من الطعام وأما قول الله سبحانه وتعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" هذا لا يعني ترك العمل بالأسباب ولا يعني أن الاتكال على التقوى كافٍ في أن الله سبحانه وتعالى يرزق العبد إذا ترك العمل وترك الكسب والتكسب ولم تدل هذه الآية على نفي الكسب، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: الآية اقتضت أن المتقي يرزق من حيث لا يحتسب ولم تدل على أن غير المتقي لا يرزق بل لابد لكل مخلوق من الرزق.

الله سبحانه وتعالى يرزق كل أحد "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" الله سبحانه وتعالى يرزق كل أحد لكن المتقي قد يرزقه الله سبحانه وتعالى من حيث لا يحتسب فيكون هناك أمر هو يعمل بالأسباب لكن

يأتيه رزق من حيث لا يدري ومن حيث لا يحتسب، ثم قال: فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة ويرزقون رزقاً حسنا وقد لا يرزقون إلا بتكلف وأهل التقوى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة ولا يكون خبيثاً والتقي لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق وإنما يحِميها من فضول الدنيا رحمة به وإحسانا.

وهذه مسألة عظيمة ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مسند أحمد أنه قال: "إن الله ليحمي أحدكم الرزق كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب" أحياناً عندك مريض قد تمنعه من بعض الطعام لأنك تدري لو أنه أكل من هذا الطعام قد يزيد في مرضه فالله سبحانه وتعالى قد يمنع بعض الناس من هذا الرزق لكن رحمة منه سبحانه وتعالى قال سبحانه: "وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ"

قال ابن تيمية وإنما يحميه من فضول الدنيا رحمة به وإحساناً إليه فإن توسيع الرزق قد يكون مضرة على صاحبه وتقديره يكون رحمة لصاحبه.

انتهى كلامه رحمه الله، تقديره: أي تضييقه.

❁ قال المصنف رحمه الله: فأما الدين، فينبغي للإنسان أن يكون مُؤْثِرًا لله- عزَّ وجلَّ- على كل شيء : أهل الإيمان يؤثرون الآخرة ويقدمون مراد الله سبحانه وتعالى، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ثلاث من كُنَّ فيه وجد بِهِنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود بالكفر بعد اذ اخرجه الله منه كما يكره ان يقذف في النار" فهو مؤثر للآخرة لكن حال الناس الذي درجوا عليه والذي انتشر بينهم هو كما قال الله سبحانه وتعالى: "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا" النفس بعادتها تؤثر النعيم الذي تراه لديها لكن ذاك النعيم الذي قد خبأه الله سبحانه وتعالى

وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" الإنسان لا يطلع عليه الآن في هذه الدنيا لكن قد وصف ربنا

سبحانه وتعالى ما فيه الكفاية مما يرغب العباد إلى إيثار الآخرة على الدنيا وبين سبحانه وتعالى حال هذه الدنيا

قد قال نبينا صلى الله عليه واله وسلم: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو طالب علم أو متعلم.

وفي الحديث الآخر لما مر النبي صلى الله عليه وسلم على جدي أسك قد قطعت أذنه قال صلى الله عليه واله وسلم لَ الدنيا أهون على الله من هذه.

أسال الله أن يجعلني وإياكم ممن يؤثر الآخرة على الدنيا.

قال المؤلف رحمه الله:

فإذا حصل مطلوبه من نيل الخير، وزوال الضرر، علم أن ذلك من فضل الله – عزَّ وجلَّ– وكرمه، فشكره على ذلك، وحَرَص على الزيادة من طاعته، وإن خاب مسعاه رأى أن ذلك من فضل الله –عزَّ وجلَّ– وكرمه؛ فإنه لا يدري لعله لو حصل مطلوبه لكان شرا له في دينه ودنياه، وأقل ما في الأمر أن تكون تلك الخيبة عقوبة من الله – عزَّ وجلَّ– له على ذنب متقدم، وهذا أيضًا خير ؛ لأنه كفَّارة له وإصلاح لشأنه:

❁ قال: فإذا حصل مطلوبه من نيل الخير، وزوال الضرر: قد يحصل لك مطلوبك من نيل الخير ويزول عنك هذا الضرر لكن هل هذا الخير الذي حصل لك هو خير لك فعلاً أو لا، رزقت مالاً هل هذا المال يكون خير لك أو لا؟ كم من الناس الذي رزقه الله سبحانه وتعالى من الدنيا فكان هذا المال الذي رزقه سبب لهلاكه وعذابه والعياذ بالله سبحانه وتعالى

وتأمل في حال قارون حين قال عن المال الذي قال به ربنا سبحانه وتعالى: "وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ"فقال قارون: "إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي" الى ان قال الله سبحانه وتعالى: "فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ" فهذه كانت نهايته لكن بعد ذلك ذكر ربنا سبحانه وتعالى بعد أن ذكر قصة قارون: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" الدار الآخرة هي لمن أراد وجه الله سبحانه وتعالى لم يرد في هذه الدنيا أن يعلو ولا يريد أيضا أن يفسد في هذه الأرض والله سبحانه وتعالى يجعل العاقبة لأهل التقوى قال: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" دائما ما تكون الدائرة والعود لأهل

التقوى ولأهل الإيمان، "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ " وقال تعالى: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ " وقال تعالى: "وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" الله سبحانه وتعالى فضله واسع وفضله عظيم لأهل الإيمان ولأهل التقوى يجعل لهم العاقبة ويجعل لهم العقبى في الدنيا والآخرة سبحانه.

قال المؤلف رحمه الله:

والحاصل :أقول :كلُّ شيء يقضيه الله – عزَّ وجلَّ– ويقدّره للمؤمن، فهو خير له، على أن يوقن بذلك، ويجري على حسب يقينه فما عليه إلا أن يجتهد في طاعة الله – عزَّ وجلَّ–، وفي إصلاح دنياه في حدود ما أذن الله به، ثم ليكن بعد ذلك واثقًا أن كل ما قضاه الله – عزَّ وجلَّ – فهو خير.

أسأل الله تعالى التوفيق لي ولمحمد ولجميع المسلمين.

7 محرم الحرام سنة 1374 هـ

كتبه / عبدالرحمنبنيحيى

❁ قال رحمه الله تعالى: رحمه: والحاصل :أقول :كلُّ شيء يقضيه الله – عزَّ وجلَّ– ويقدّره للمؤمن، فهو خير له: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن" المؤمن موقن بالله عز وجل إن كل ما يجريه عليه من الأقدار فهو خير له وهذا مبني على عقيدة إيمانية راسخة في قلب المؤمن ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق شراً محضاً عقيدة أهل السنة أن الله لم يخلق شراً محضاً ما من شر إلا وفيه نوع خير حتى إبليس قد بقي فيه شيء من الخير قد كان قبل

ذلك يعبد الله سبحانه وتعالى ثم جاء أنه أراد أن يتوب ولما عصى الله سبحانه وتعالى ما استنكر لربه وقال: "رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ " إلى غير ذلك من الآيات فقال: "ربِّ" ففيه نوع خير وإن كان الشر الذي فيه أعظم من الخير الذي كان فيه فأهل السنة يوقنون أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق

شراً محضاً وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "والشر ليس اليك" هذا هو المراد وهذا هو المقصود ولذلك تيقن أن ما أصابك من اقدار الله سبحانه وتعالى حتى وإن كانت في ظاهرها شر فهي ليست شراً محضاً بل لابد أن تتضمن من الخير ما الله سبحانه وتعالى به عليم ولذا من أصيب بابتلاء بمرض هذا في ظاهره شر لكن يحصل له من كفارات الذنوب وتكفير السيئات وقد يكون فيه رفعة للدرجات وزيادة في الحسنات ما لا يعلمه إلا الله رب السماوات والأرض سبحانه وتعالى ولذا تيقن أن الله سبحانه وتعالى رحيم بك يريد لك كل خير وأن الله سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من نفسه وأرحم بالعبد من والده ووالدته والناس أجمعين هذا وبهذا إن شاء الله قد تم التعليق على هذه الوصية فما كان من خير فمن الله سبحانه وتعالى وحده وما كان من تقصير أو خطأ أو خلل فهو من نفسي المقصرة ومن الشيطان.

أسال الله سبحانه وتعالى أن ينفع بما قُلناه وأن يرفع به سبحانه وتعالى وأنيكتبه في موازين من استمع ومن قرأ ومن تكلم أسال الله سبحانه وتعالى أن يُتم لي ولكم بالصالحات والله أعلى واعلم.

سلسلة تفريغات شبكة بينونة

شَرْحُ وَصِيَّة

العلامة عبد الرحمن المعلَمي لتلميذه

الشيخ
حمد بن خميس الحنيني
حفظه الله

@Baynoonanet
www.baynoona.net